اتخاذ الوسائط بين العبد وربه

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٠٠ السنة الخمسون - ذو الحجة ١٤٤٢ هـ

الثمن ٥ جنيهات

أحاديث الآحاد في الأحكام والاعتقاد

جمعية أنصار السنة المحمدية

أنصار السنة

دعوة وسطية وجمعية خيرية تقوم على أصول علمية

- من أحكام العيد
- فضل يوم عرفة ويوم النحر
- الأجوبة النافعة عن أسئلة الأضحية

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام
أ.د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد

السلام عليكم

العمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة

قال أبو عثمان النهدي: كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم.

أما العشر الأول من ذي الحجة، فإن العمل الصالح فيها يضاعف أضعافا كثيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام». قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء.

ويشرع في هذه الأيام التكبير المطلق، وقد كان ابن عمر وأبو هريرة، رضي الله عنهما، يخرجان إلى السوق أيام العشر، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

ويشرع من فجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من اليوم الثالث من ذي الحجة التكبير في أدبار الصلوات، وهو ما يعرف عند أهل العلم بالتكبير المقيد.

فيجتمع التكبير المطلق والمقيد في خمسة أيام، وهي: يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق الثلاثة.

ومن صيغ التكبير الشرعية: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد». وهي أفضل الصيغ عند الجمهور، وهي قول كثير من السلف.

تقبل الله منا ومنكم.

التحرير

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

فهرس العدد

من معالم التوحيد: الرئيس العام ٢
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٥
أنصار السنة دعوة وسطية وجمعية خيرية: اللجنة العلمية ٨
منهج القرآن في مراعاة بيئة الدعوة وتوصيف المرحلة د. أمين الدميري ١٣
مقالات في معاني القراءات د. أسامة صابر ١٥
بغية الكمال بأفضل الأعمال د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
فقه المرأة: د. عزة محمد رشاد ٢١
أحاديث الأحاد في الأحكام والاعتقاد د. عبد الوارث عثمان ٢٤
خطورة الغياب عن إصلاح الشباب د. عماد محمد علي عيسى ٢٨
فضل يوم عرفة ويوم النحر معاوية محمد هيكل ٣٢
واحة التوحيد علاء خضر ٣٦
من أحكام العيد د. متولي البراجيلي ٣٨
اتخاذ الوسائط بين العبد وربه د. محمد عبد العزيز ٤١
الأجوبة عن أسئلة الأضحية د. حمدي طه ٤٤
كتاب عربي علم العالم محمد محمود فتحي ٤٨
الأسرة المسلمة د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
منبر الحرمين د. صالح بن عبد الله بن حميد ٦٠
تمثيل طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين مصطفى البصراتي ٦٢
شهر ذي الحجة أحداث وتاريخ أحمد عز الدين ٦٤
خير الدعاء دعاء يوم عرفة عبده أحمد الأقرع ٦٦
خطبة الوداع وتحريش الشيطان صلاح عبد الخالق ٦٨
حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين المستشار أحمد السيد إبراهيم ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

٩٢٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

من معالم التوحيد في الحج

الرئيس العام د. عبد الله شاكر

الحمد لله الذي جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنًا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين. وبعد.

فإن الأصل الذي تبنى عليه سائر العبادات هو توحيد رب الأرض والسماوات، وإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، وهو أصل القضايا باتفاق وأهمها على الإطلاق، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى بصرف جميع أنواع العبادة له وحده دون سواه، فقال، وهو أصدق القائلين: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)، وجميع العبادات يظهر فيها التوحيد وتشهد به، ومن ذلك حج بيت الله العتيق، بل إن من أعظم مقاصد الحج ومنافعه هو تحقيق التوحيد، وإليك أيها القارئ الكريم بعض مظاهر التوحيد في الحج.

أولًا: معالم التوحيد في التلبية: إن أول عمل يعمله الحاج بعد أن يتجرد من ثيابه ويلبس ملابس الإحرام وينوي الدخول في النسك هو «التلبية» وهي قوله: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، وقد ذكر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن هذه التلبية هي توحيد لله تبارك وتعالى، وأطلق عليها هذا اللفظ، كما جاء في روايته في حجة النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «فأهل التوحيد: لبيك اللهم لبيك» (مسلم: ١٢١٨).

ومعنى هذه التلبية: أني يا رب خاضع ومستجيب لك، واتجاهي وقصدي إليك وحدك دون سواك. (انظر: فتح الباري: ج٣، ص ٤٠٩).

وقد اقتلع النبي صلى الله عليه وسلم بهذه التلبية تلبية المشركين الذين كانوا يقولون: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك»، وهذه شرك برب العالمين، أما تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلها توحيد وتغمر القلب بالإخلاص وتجعل العبد قاصدًا ربه دون سواه.

ثانيًا: معالم التوحيد في الطواف بالكعبة: الطواف بالكعبة ركن من أركان الحج، وقد أمر الله في كتابه حجاج بيته أن يطوفوا بها، فقال: «وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» (الحج: ٢٩)، ولم يشرع لأحد أن يطوف بغيرها، وقد ذكر الله في كتابه أن خليل الرحمن

إبراهيم وابنه إسماعيل قاما برفع القواعد من البيت وبنيا الكعبة، وأمره الله تبارك وتعالى أن يطهره من الشرك ليعبد الله وحده، فقال: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ» (الحج: ٢٦)، قال ابن كثير: هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله، وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له. (تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٣، ص٢٩٧).

ولا يظن أحد وهو يطوف بالكعبة أنها يتبرك بها، وقد أزال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الوهم بقوله وهو يطوف بالكعبة ويقبل الحجر الأسود: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك». (رواه البخاري: ١٥٩٧).

قال الطبري رحمه الله معلقًا على فعل عمر رضي الله عنه: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقد في الأوثان. (فتح الباري: ج٣/٤٦٢).

ثم بعد الطواف يسن للطائف أن يصلي ركعتين، يقرأ في الأولى بسورة الكافرون التي فيها براءة من الشرك، والمشركين، ويقرأ في الثانية بسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، وكلها توحيد لرب العالمين، وهذا هو حقيقة دين الإسلام، ولا يمكن أن يجتمع التوحيد والشرك في قلب مسلم صادق أبدًا، كما في حديث أبي مالك عن أبيه رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله». (مسلم: ٢٣).

وقد دل الحديث على أنه لا بد مع الإيمان بالله وعبادته وحده دون سواه، الكفر بكل ما يعبد من دونه جل في علاه، امتثالًا لقول الله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ» (النحل: ٣٦).

فلا بد لتحقيق التوحيد من اجتناب جميع الطواغيت، والعبد وهو يطوف بالكعبة يعلم أن الأمر كله بيد الله فيخلص الدعاء له جل في علاه، ومما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بين الركن اليماني والحجر الأسود بقول الله تعالى: «رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ» (البقرة: ٢٠١).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام التذكير بحرمة البيت العتيق ومكانته، وقد أقسم الله به في كتابه، والله لا يقسم إلا بشريف عظيم، وقد تميز عن غيره بخصيصة عظيمة لا تكون في سواه، وهي: عدم دخول المشركين فيه، فلا يجوز مطلقًا أن يمكن كافر أو مشرك من دخول بلد الله الحرام، لأنهم نجس وبلد الله مطهر مقدس، قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا» (التوبة: ٢٨)، قال السعدي رحمه الله: يقول تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إنَّمـا المُشْركون» بـالله الذين عبدوا معه غيره «نجس» أي خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ، ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئًا؟ وأعمالهم ما بين محاربة منه وصد عن سبيل الله، ونصر للباطل ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت، وأطهرها عنهم. (تفسير السعدي، ج٣/٢١٧).

وتطبيقًا لهذا الأمر الإلهي بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر في العام التاسع ليؤذن في الناس: أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. (البخاري (٤٦٥٧)).

وقال القرطبي رحمه الله: يحرم تمكين المشرك من دخول الحرم، فإذا جاءنا رسول منهم خرج الإمام إلى الحل ليسمع ما يقول، ولو دخل مشرك الحرم مستورًا ومات نبش قبره وأخرجت عظامه. (تفسير القرطبي، ج٤/٤٤٨).

فاعرفوا يا أهل الإيمان قدر البلد الحرام

وعظموه، واحذروا أن يحول إلى ما ينافي مقاصد الشريعة ومنهج الإسلام، فلا يدعى فيه إلا الله، ولا يرفع في أرجائه إلا شعار التوحيد لله، ولا يحل لمؤمن أن يؤذي فيه المسلمين، أو يروع الآمنين، أو يعكر صفو المصلين الخاشعين، واليوم تقوم حكومة خادم الحرمين الشريفين حفظهم الله بخدمته ورعايته ماديًا ومعنويًا، وخدمة قاصديه، فجزاهم الله أحسن الجزاء.

ثالثا: معالم التوحيد على الصفا والمروة:

السعي بين الصفا والمروة من أركان الحج والعمرة، والحاج والمعتمر إذا انتهى من طوافه توجه ورقى أولاً على الصفا اقتداء بفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى جابر في حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد طوافه: «خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا»، أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، وفعل على المروة كما فعل على الصفا. (انظر: صحيح مسلم: ١٢١٨).

ويلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر على الصفا والمروة كلمة التوحيد وشعار الإسلام «لا إله إلا الله»، كما نسب الحمد والملك لله وحده، وهذا الذي دفع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن يقول: «فرقى على الصفا، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره».

رابعًا: مظهر التوحيد في الوقوف بعرفة:

الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم، وقد وقف المصطفى صلى الله عليه وسلم هناك بعد أن جمع بين صلاتي الظهر والعصر، وهو يوم مبارك عظيم، يعتق الله فيه من النار، ما لا يعتق فيما سواه، ويباهي رب العزة والجلال ملائكته بأهل الموقف، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبدًا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء». (وهو حديث صحيح: انظر صحيح سنن ابن ماجه، ج٢/١٧٣).

كما وردت أحاديث كثيرة في فضل الدعاء بعرفة، وأن خير ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم والنبيون من قبله هي كلمة التوحيد، كما في حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا: «أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». (رواه الطبراني وهو حديث حسن: انظر السلسلة الصحيحة، ج٣/٦).

وسأل أحد السلف سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» فقال له الرجل، هذا ثناء وليس بدعاء، فقال له سفيان: أما علمت قول الشاعر:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك بأن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال سفيان للرجل: هذا مخلوق يكتفي بالثناء عليه دون مسألة، فكيف بالخالق؟ (انظر: المنهاج للمعتمر والحاج، ص٨٥).

خامسًا: مظهر التوحيد في ذبح الهدي: يجب على الحاج أن يذبح هديًا إن كان متمتعًا أو قارنًا، وأقل الهدي شاة، أو سبع بدنة أو بقرة يذبح الحاج بمنى ومكة، والذبح عبادة عظيمة وقربة لا تكون إلا لله.

قال تعالى موجهًا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» (الكوثر: ٢). قال ابن كثير: «أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له». (تفسير ابن كثير: ج٤/٧٧٢).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل من الحجاج حجهم، وأن يرزقنا الحج والعمرة ويتقبل منا صالح الأعمال.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْعَنكَبُوتِ

الحلقة الرابعة

قال الله تعالى:

« وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) »

(العنكبوت: ١٦-٢١).

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

دعوة إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبادة الله:

«وَابْرَاهِيمَ» بالنَّصب عطفًا على «ولقدْ أرْسلْنا نُوحًا»، أوْ على أنَّهُ مفْعُولٌ لفعْل مَحْذُوف تَقْدِيرُه: واذْكُرْ إبْرَاهِيمَ «إذْ قَالَ لقوْمه اعْبُدُوا اللَّه» ولا تُشْرِكوا به شيْئًا، «واتَّقُوهُ» أيْ: خَافُوا واحْذرُوا أنْ يَحل بكُمْ غضبُهُ، أوْ ينْزل عليْكمْ سَخطهُ، وقَدْ أشْرَكْتمْ به ما لمْ يُنزّلْ به سُلطانًا، «ذلكُمْ» الَّذي أدْعُوكمْ إليْه منْ تَرْك الشِّرْك، وإخْلاص الدِّين لله، «خيْرٌ لَكُمْ» في الدُّنْيا والآخرة، فما منْ خيْر يحْصُل للْعباد في الدُّنْيَا إلَّا وَسَبَبُهُ الإيمَانُ وَالتَّقْوى، ولا يَحْصُلُ للعباد خَيْرٌ في الآخرَة إلَّا بالإيمان وَالتَّقْوى:

قال تعالى: « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ » (الأعراف: ٩٦)، وقال تعالى: « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ » (النور: ٥٥)، وقَال تعَالى: « ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٥٦) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ » (الحج: ٥٦-٥٧).

وَقَوْلُهُ تعَالى: «إن كُنتُمْ تعْلمُونَ ١٦» ترْغيبٌ منْه عليه السلام لهُمْ في المُبادرَة بالاسْتجابَة، لينْفوا عنْ أنْفسهمُ الجهْل، الذي يأنف كلُّ جاهل أنْ يُوصف به.

إبطاله عبادة الأوثان:

ثمَّ بيَّنَ لهُمْ بُطلانَ ما هُمْ عليْه منَ العقائد فقال: «إنَّما تعْبُدُونَ منْ دُون الله أوْثانًا وتخْلقونَ إفكًا إنَّ الذينَ تعْبُدُونَ منْ دُون الله لا يمْلكونَ لكمْ رزْقًا فابْتغوا

عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ١٧ ».

فذكر بطلان مذهبهم بأبلغ الوجوه، وذلك لأن المعبود إنما يعبد لأحد أمور: إما لكونه مستحقا للعبادة بذاته، كالعبد يخدم سيده الذي اشتراه سواء أطعمه من الجوع أو منعه من الهجوع. وإما لكونه نافعا في الحال، كمن يخدم غيره يوصله إليه كالمستخدم بأجرة. وإما لكونه نافعا في المستقبل، كمن يخدم غيره متوقعا منه أمرا في المستقبل. وإما لكونه خائفا منه.

فقال إبراهيم عليه السلام: « إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا » إشارة إلى أنها لا تستحق العبادة لذاتها لكونها أوثانا لا شرف لها.

وقوله تعالى: « إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا » إشارة إلى عدم المنفعة في الحال وفي المآل، وهذا لأن النفع إما في الوجود، وإما في البقاء، لكن ليس منهم نفع في الوجود، لأن وجودهم منكم حيث تخلقونها وتنحتونها، ولا نفع في البقاء، لأن ذلك بالرزق، وليس منهم ذلك، ثم بين أن ذلك كله حاصل من الله فقال: « فابتغوا عند الله » إشارة إلى استحقاق الله تعالى العبادة لذاته، وقوله: « الرزق » إشارة إلى حصول النفع منه عاجلا وآجلا. ثم قال: « واعبدوه » أي اعبدوه لكونه مستحقا للعبادة لذاته. « واشكروا له » أي لكونه سابق النعم بالخلق، وواصلها بالرزق، و« إليه ترجعون ١٧ » (التفسير الكبير: ٢٥/ ٤٥و٤٦). « ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » (يونس: ٤).

« وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين (18) أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير (19) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير (20) يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون (21) وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (22) والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم »:

اختلف المفسرون في هذه الآيات: فجعلها بعضهم من جملة كلام إبراهيم عليه السلام مع قومه، وجعلها بعضهم من كلام الله تعالى، فهي كالجملة المعترضة في كلام إبراهيم عليه السلام.

وجوب الاعتبار
بوحدة مصير المكذبين:

« وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم »:

على القول الثاني: يأمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه: إن كذبتموني فيما أخبرتكم به عن الله تعالى وما بعثني به فقد كذب الذين من قبلكم رسلهم، فأنجى الله رسله والمؤمنين، وأهلك المكذبين، « فانتظروا إني معكم من المنتظرين » (يونس: ١٠٢)، فقد أبلغتكم رسالة ربي، « وما على الرسول إلا البلاغ المبين ١٨ ». قال تعالى: « وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (42) وقوم إبراهيم وقوم لوط (43) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير » (الحج: ٤٢-٤٤)، وقال تعالى: « وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير (25) ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير » (فاطر: ٢٥-٢٦)، « فاعتبروا يا أولي الأبصار ٢ » (الحشر: ٢)، واحذروا أن يصيبكم مثل ما أصاب المكذبين من قبلكم.

من دلائل البعث:
خلق الخلق أول مرة:

« أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ١٩ »:

لقد أنكر المشركون البعث بعد الموت وجادلوا فيه، كما أنكروا التوحيد وجادلوا فيه، ولذلك طال حديث القرآن عن البعث وأدلته،

وإبطال شبهات المشركين حوله.

وفي هذه الآية ذكر دليل من أدلة البعث، وهو أن الذي خلق الخلق أول مرة لن يعجز عن إعادتهم بعد موتهم.

يقول تعالى: أولم يعلم المنكرون للبعث أن الله تعالى خلق الخلق بقدرته، وقدر لهم أقدارا، وضرب لهم آجالا، كما قال تعالى: «هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ» (الأنعام: ٢). والمراد بالأجل أجل كل إنسان من حين يولد إلى أن يموت، والمراد بالأجل المسمى عنده سبحانه أجل الدنيا كلها منذ خلقت إلى يوم البعث، وهذا من أبين الأدلة على البعث، ومع ذلك فالذين كفروا يمترون فيه ويشكون.

وقوله تعالى: «إن ذلك على الله يسير ١٩» يعني الإعادة، كما قال تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (الروم: ٢٧). عن ابن عباس رضي الله عنه: «وهو أهون عليه» يعني أيسر عليه. وقال مجاهد: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هينة. وكذا قال عكرمة وغيره رحمهم الله. (تفسير القرآن العظيم (٣/٤٣٠و٤٣١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد». (صحيح البخاري ٤٩٧٤).

ثم أمرهم -إن لم يعلموا- أن يتفكروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله فيهما، ليعلموا أن الله تعالى ما خلق ذلك إلا بالحق، ولا بد أن يبعث الخلق بعد الموت، فقال تعالى:

«قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ٢٠» فالله الذي بدأ الخلق قادر على إعادته، كما قال تعالى: «يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ» (الأنبياء: ١٠٤)، وقال تعالى: «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» (الأعراف: ٢٩)، وقال تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ» (الواقعة: ٦٢)، أي فلولا تذكرون فتعلمون أن الذي أنشأكم أول مرة قادر على أن ينشئكم النشأة الثانية بعد الموت يوم القيامة، «لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى» (النجم: ٣١)، ولذلك قال هنا: «يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون ٢١»، «يعذب من يشاء» بعدله، «وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» (الكهف: ٤٩)، «ويرحم من يشاء» بفضله؛ عن ابن الديلمي رحمه الله قال: وقع في نفسي شيء من القدر، فأتيت زيد بن ثابت رضي الله عنه فسألته، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم، كانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم»، ولو كان لك جبل أحد، أو مثل جبل أحد، ذهبا، أنفقته في سبيل الله، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا، دخلت النار.(صحيح سنن أبي داود: ٣٩٣٢).

«وإليه تقلبون ٢١» أي ترجعون، كما تنقلبون إلى أهليكم بعد أسفاركم، ولذلك علم الله عباده إذا ركبوا مراكبهم أن يقولوا: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ» (الزخرف: ١٣، ١٤).

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

أنصار السنة

دعوة وسطية وجمعية خيرية تقوم على أصول علمية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنه بعد توفيق الله تبارك وتعالى لجمعيتنا المباركة بعقد جمعيتها العمومية في لقاء أشبه بالعرس بين أبنائها لتوفيق أوضاعها، ولما قد مر على تأسيس هذه الجمعية ما يقارب القرن من الزمان، فقد رأى المشرفون بالقيام عليها حسبة أن عليهم واجب التذكير والتعريف بهذه الجمعية لمن لا يعرف تاريخها وتاريخ أبنائها ممن نشأوا وتربوا وكبروا ولا يزالون ينهلون من معينها الصافي، بل لا أبالغ إن قلت إنهم لا يزالون يعيشون في أرحامها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعيش بلادهم في قلوبهم متمكنة متربعة، إنها صورة لا يمكن أن يتصورها إلا من عاشها وترك لمشاعره أن تعبر عنها فليست الحسابات والضوابط العلمية جديرة بالتعبير عنها فهي صورة خارجة عن قواعد المادة وليست الصور الأدبية جديرة برسمها فهي صورة حقيقية بعيدة عن الخيال، وعليه فلا يوفيها حقها في التصور الحقيقي لها إلا من عاينها ورضع منها فعاش فيها وعاشت فيه.

إعداد: اللجنة العلمية بالجمعية

فعن هؤلاء المطيعين أتكلم، ولأولئك الناقدين لهم المستغربين عليهم أعتب أو أعذر، ومن هؤلاء المحبين على سبيل المثال لا الحصر جمعيتنا المباركة التي مزجت حب بلادها بشغاف قلبها وجعلت من حبها لبلادها وخدمتها لأهلها سبيلاً من سبل الوصول إلى جنة ربها، وتحملت في سبيل ما اعتقدته من هذا الحب وهذه العبادة الكثير من نقد الناقدين وهجوم غير العالمين. وعلى أي حال فدائمًا يقول علماؤنا: "ما دام ذلك في سبيل الله ومصلحة البلاد والعباد فلسنا نبخل بأوقاتنا ولا بأعراضنا وأموالنا".

وما سنكتبه هو إشارة عابرة فلسنا بموفين لكل بنود ما نكتب، ولكنها لبنة لكتاب واسع تخرجه الجمعية قسمة بين علمائها ودعاتها جميعًا -إن شاء الله- يزيل الجهالة عن غير العارفين بأنصار السنة ممن لم يعاصروا ولم يعوضوا عدم المعاصرة بالقراءة عن تاريخ هذه الجمعية ونشأتها والتزامها بقوانين بلادها المنظمة لعملها ومواقفها من الأحداث الجارية في بلادها ومن علاقاتها بمؤسسات الدولة الرسمية والأهلية المسموح لها بخدمة البلاد والعباد ومن سنين من العطاء، بل ومن منهجها المبني على الكتاب والسنة والذي تتعبد به إلى ربها، وعذرنا في هذا الاختصار هو ما تفضلت علينا به مجلة التوحيد من مساحة في هذا العدد أختصر الكلام على قدره اختصارًا.

ويجبر ضعفنا ويسد خللنا كذلك ما سيكتب عن ذلك تفصيلاً من هذا السفر العظيم المنتظر وكذلك ما تفضل به إخواننا ممن سبق بالكتابة نصرة للجمعية وبيانًا لمنهجها وهو كثير والحمد لله كدراسات علمية خرجت عن الجمعية من جامعات مصرية وسعودية وبعضه مطبوع ككتاب (أنصار السنة سنوات من العطاء) وكتاب (دور أنصار السنة في محاربة الغلو)، ويسبق ذلك ويتلوه رسائل وأبحاث ومقالات وبيانات آخرها ما كان بحثًا من فضيلة الرئيس العام نشر في مجلة التوحيد تحت هذا العنوان كذلك: (دور أنصار السنة في محاربة الغلو)؛ فجزى الله خيرًا كل من كتب ويكتب نصرة لهذه الدعوة الوسطية الخدمية العاملة على أسس علمية ومناهج مرضية.

> “ أسست الجمعية عام: ١٣٤٥هـ على يد مؤسسها الشيخ: محمد حامد الفقي فلها قرن من الزمان. ”

الجمعية وتاريخ نشأتها:

جمعية أنصار السنة المحمدية هي جمعية إسلامية دعوية قامت في مصر عام ١٣٤٥ هـ/١٩٢٦م أسست على قوانين الجمعيات المنظمة لعمل الجمعيات الأهلية والعمل الخيري والدعوي للدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة لتطهير الاعتقاد ونبذ البدع والخرافات كشرط لسعادة الدارين الدنيا والآخرة. وكان ذلك على يد الشيخ محمد حامد الفقي وبمشاركة مجموعة من إخوانه، وأسس الشيخ حامد الفقي مجلة الهدي النبوي لتكون لسان حال الجماعة والمعبرة عن دعوتها والناطقة بمبادئها، وتولى هو رئاسة تحريرها. ومع تطور أعمال الجمعية الدعوية وإيمانًا منها بقيمة العلم أنشأ الشيخ الفقي مطبعة السنة المحمدية لنشر الكتب العلمية والقيم والأخلاق الشرعية السنية؛ وذلك لتنقية المجتمع من المعتقدات الهدامة والأخلاق الرزيلة.

وتواكب على رئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها مجموعة من العلماء البارزين على مستوى العالم الاسلامي عمومًا وبلادنا وأزهرنا الشريف خصوصًا (ويرجع في معرفة تفصيل ذلك إلى ما طبع وسيطبع من الكتب التي أولت هذه الأمور العناية).

بيان علاقة الجمعية بالجهات الإدارية:

وجمعية أنصار السنة هي جمعية دعوية خدمية من جمعيات تنمية المجتمع التابعة لوزارة التضامن الاجتماعي والتي ينظم قانونها قانون عمل الجمعيات وتخضع بصفة مباشرة رسمية لهذه الجهة كجهة إدارية، كما تخضع لرقابة الدولة، وفي ظل هذه الرقابة تخضع جمعيتنا للتفتيش الدوري المعتاد من الجهات الإدارية، والذي يتميز بالدقة والموضوعية والعمل الجماعي من فريق متقن ونحسبه مخلصًا من اللجان المشكلة والمنتقاة والمكلفة للقيام بهذه المهمة الهامة التي تتعلق بشأن البلاد في جزء من أهم الأجزاء المؤثرة وهو العمل المجتمعي؛ إذ الأعمال المجتمعية من الأهمية بمكان لذا توليها الدولة عناية خاصة من التوجيه والإرشاد والتفتيش والمتابعة وذلك لما لها من الأثر الشديد على تشكيل البنية المجتمعية من الناحية المادية والأدبية، من أجل هذا كله فإن بلادنا أولت هذه الجمعيات عناية خاصة توجيهًا وإرشادًا.

ولمن لا يعرف قوانين بلادنا فإن قانون الجمعيات عمومًا يوجب على الجمعيات أن تخضع لتفتيشات دورية سنوية وربع سنوية وشهرية من الجهات المعنية

على الجانب المالي والإداري للجمعية، فضلاً عن تفتيش ومراجعة دورية مستمرة لكل مجالس إداراتها ولجانها على مدار العام، فضلاً عن المتابعة والرقابة الجادة من الجهات المعنية على سلوكها اليومي وتصرفاتها المتعلقة بالغير.

وفي ظل هذه القوانين تحصل جمعيتنا على أعلى درجات التقييم من هذه الجهات الإدارية المعنية الصادقة وتقاريرهم رسمية مدونة لديهم ولدى رعاياهم من القائمين على العمل وكثير منه نشرته الصحف الرسمية شهادة حق وإشادة بدور جمعيتنا وأمثالها في خدمة البلاد والمساهمة في استقرارها ديانة.

علاقة الجمعية بمؤسسات الدولة المختلفة:

وليس أدل على اندماج الجمعية وانصهارها وحبها لبلادها من تدينها واعتقادها أنها جزء لا يتجزأ من مؤسسات بلادنا حتى ولو كانت جمعيتنا مؤسسة أهلية فمردها في النهاية إلى قلب كبير وحاوية عظمى تجتمع فيها المؤسسات الرسمية مع الأهلية المقننة في خدمة البلاد والعباد كل له دوره مما تسمح به الدولة وترسمه لكل العاملين على أرضها للوصول إلى منظومة شاملة ولوحة عامة متكاملة؛ فيا له من قلب كبير اتسع للجميع حبًا.

ومن هذه العلاقة ما كان من علاقتها بالأزهر الشريف وبوزارة الأوقاف وبالوزارات المشرفة عليها بشكل مباشر كالتضامن وبوزارة التربية والتعليم وبوزارة الصحة ووزارة البيئة والزراعة، وكل ذلك أمثلة وليست حصرًا .

جمعيتنا جمعية دعوية تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة:

وجمعيتنا مع كونها من الجمعيات الأهلية فهي جمعية دعوية تدعو إلى الله كما أمر الله، وكما رسم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في القرآن والسنة تدعو إلى توحيد الله الخالص الذي هو أساس استقرار المجتمعات وإسعادهم ونبذ الخرافات والشركيات والجهل الذي هو أساس فساد المجتمعات وإرهابها وطريق ذلك مرسوم فهو كما قال الله تعالى: (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: ١٢٥).

والآية الكريمة كما هو ظاهر احتوت على جميل وكثير من المحاسن والقضايا، واشتملت على جملة من المواعظ والوصايا، ما لو بُث في أسفار عديدة لما أسفرت عن جمال معانيها، ولا وفت بحق مبانيها، لكننا نرجو من الله في كتابنا المنتظر البشارة وأن يشتمل بعضًا مما فيها ببسط للعبارة.

هذا وقد حرصت جمعيتنا ودعوتنا على بيان ما بينته ملتنا وشريعتنا من معالم الدعوة إلى الله، وأن غايتها من ذلك أن يحيا الناس حياة طيبة في الدارين، سعادة في العاجل، وعطاء غير مجذوذ في الآجل.

وليس منهجنا ببدع من القول فما قام دينٌ من الأديان، ولا انتشر مذهبٌ من المذاهب، ولا نجحت مدرسة من مدارس الدعوة إلا بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهكذا اختار علماؤنا نفس الصراط السوي.

ومَن تتبَّع نصوص القرآن والسنة ووصايا النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة وقادة الجيوش بل ولقادة الأمة في الغزوات وغيرها، علم أن الإسلام جاء بالحكمة والموعظة الحسنة - على وجه لم يُسبق بمثله - تقريرًا وتأكيدًا للرحمة والصلاح والإصلاح، ونبذًا للعنف والفساد والإفساد قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)(القصص:٧٧)، وقال تعالى:

> “ما قام دينٌ من الأديان، ولا انتشر مذهبٌ من المذاهب، ولا نجحت مدرسة من مدارس الدعوة إلا بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.”

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) (يونس: ٨١).

وهذه القاعدة العظيمة وشبهها، وإن توجّه فيها الخطابُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفظًا، فهو لجميع الأمة، إذ القاعدة الشرعية أن الخطاب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو لأمّته، إلا إذا دل دليل على التخصيص؛ وقد قال الله -عز وجل -: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١).

فيا أيها الحبيب المتابع هذه بعض من معالم دعوتنا الوسطية الموسومة بجمعية أنصار السنة المحمدية وكله من الكتاب والسنة ويرجع إلى تفصيل ما سبق وإفراده إلى جملة من المراجع أحيل قارئي عليها تفضلا غير مأمور (ينظر في ذلك: "مجموع الفتاوى" (١٥/ ٤٤٦، ١٤/ ٢٧٣ - ٢٧٥)، و"زاد المعاد" (٣/ ٣٠٧)) وكتابي (الإسلام في مواجهة الخصوم، وفاعلية الأمة الإسلامية) للدكتور سيد عبدالحليم، وأساسيات التدريب الدعوي للدكتور سيد الهميلي وغيرها).

فجمعيتنا تقوم دعوتها على ما بينته الآيات من قواعد الدعوة ومبادئها ووسائلها وطرائقها؛ إذ تدخل إلى القلوب برفق وتراعي مشاعر الخلق بحق تتألف الشاردين وتتودد إلى النافرين بعيدا عن التأنيب والزجر والتوبيخ والهجر فهي على مسافة واحدة من الجميع كما أمرها الله بغير إفراط ولا تفريط.

> **القاعدة الشرعية أن الخطاب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو لأمّته، إلا إذا دلّ دليل على التخصيص.**

وجمعيتنا حريصة في كل محفل على وصية الدعاة من أبنائها بما أوصاهم الله به من دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فيتلمس الكلمات المرققة للقلوب، المنيره للصدور، وتوصيه أن يتحلى بالتيسير والوسطية، والأساليب الرحيمة اللينة المرضية، وذلك في دعوته الناس للكتاب والسنة، كما كان ذلك شأن جميع المرسلين وأتباعهم والسابقين من هذه الأمة

قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) (آل عمران:١٥٩).

وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) (طه: ٤٣، ٤٤)؛ وذلك كما هو واضح في دعوة فرعون.

وجمعيتنا تعتقد وتتواصى دائمًا باختيار أرق التعبيرات، وألطف العبارات، في مخاطبة الناس؛ يقول -سبحانه وتعالى-: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) (البقرة: ٨٣)؛ إذ هو الإسلام في أسلوبه بمحاسنه ومحامده؛ فلم يكن رسول الله معنتا ولا متعنتا.

وجمعيتنا توصي الناس دائمًا بالبعد عن الفظاظة والغلظة، ناهيك عن سب الناس وإيذائهم وازدرائهم وغير ذلك، من الممارسات الناجمة أساسًا عن عدم الحكمة، والإعجاب بالنفس والرغبة في إقصاء الآخرين، وترى جمعيتنا أن هؤلاء لا ينبغي لهم أن يتصدروا لمثل هذا المقام الرفيع؛ لأنه لا يمكنهم أن يحققوا منه أي نتائج إيجابية؛ إذ فاقد الشيء لا يعطيه.

فنعتقد في دعوتنا أن الدعوة إلى الله ينبغي على من يتعرض لها أن يكون مؤهلاً يجمع بين العلم والحلم ومتغيرات الأمور، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسان من الصحابة والتابعين وأسلافنا

الطيبين رضي الله عنهم أجمعين.

موقف الجمعية من الأحداث الجارية:

ولجمعيتنا فيما يحدث ويجري في بلادنا من أحداث أو ملمَات أو شأن عام أو متغيرات مما يتعلق بعبودية الخلق لربهم وبعيدًا عن المشاركات السياسية والممارسات الحزبية: لجمعيتنا فيما سبق بيانه مواقف وبيانات توضح منهجها المبني على التعبد لرب الأرض والسماوات، وليس هذا المنهج ببدع من الفعل في دعوتها؛ فهو طريق مرسوم منذ أن أسسها شيخها الإمام إلى علمائها وأئمتها من المعاصرين الأعلام رزقنا الله وإياكم وإياهم الفقه والقبول أجمعين. وهذه المشاركات الكثير منها مطبوع في كتب ورسائل وصحف وجرائد وحلقات وقنوات لا يخفى على الباحثين بأقل جهد أن يصلوا إليها وأن يقفوا ويطلعوا عليها.

دور الجمعية في الأعمال الخيرية:

وجمعيتنا مهما كان من تركيزها في دورها الدعوي الأساسي إلا أنها لم تغفل يومًا ما تعهدت به أمام الله ثم الدولة من دورها الخدمي. فللوسائل أحكام المقاصد وهل يغفل عاقل أجر من أحسن إلى الناس وكان في خدمتهم والتي جمع رسولنا بينها وبين توحيد الله في أكثر من موضع، بل وفي حديث واحد ففي الصحيحين عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: ((الايمان بالله، والجهاد في سبيله))، قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: ((أنفَسها عند أهلها، وأعلاها ثمنًا))، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: ((تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق))، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعُفت عن بعض العمل؟ قال: ((تكفُّ شرك عن الناس؛ فإنها صدقةٌ منك على نفسك)) وقد لاقى قدرًا أن الحديث مشروح في باب السنة في نفس هذا العدد: فليراجع فضلاً لا أمرًا.

ثم هل يتصور فاهم أن تنجح دعوة داع إلى الله دون أن يشعر بحاجات الناس ويشاركهم آلامهم، هذه يا سادة هي أنصار السنة الجمعية المرخصة المقننة التي تخدم في ظل قانون وطريق أذنت به الدولة ورسمته ولعل كتاب (أنصار السنة سنوات من العطاء) لبعض الباحثين المنصفين قد أوفى بهذه الجزئية، ولعلنا نفرد لها المزيد في كتاب التعريف المنتظر يبين فيها دورها الاجتماعي والثقافي والطبي والتعليمي والإصلاحي والمعماري والزراعي والإعلامي والخدمي عمومًا مما هو واجب عليها وعلى أبنائها تجاه بلادهم التي تحيا في قلوبهم.

الأصول العلمية لجمعية أنصار السنة المحمدية

لا ندَعي تفرُدًا بأصول مخترعة إذ نحن مسلمون أصولنا هي أصول ديننا الحنيف السمح، ومنهجنا هو سنة نبينا صاحب خير الهدي، وفهمنا هو فهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خير قرن ثم من تبعهم بإحسان ممن تليهم من القرون، وهذا على سبيل الإجمال. أما عن التفصيل فسيأتي فيه في كتاب التعريف المرتقب كلام زاخر وشرح وافر يشارك فيه علماؤنا الأكابر، ويفصل بداخله من أكابرنا الأفاضل.

خاتمة ومناشدة:

هذا وإن كان المستهدف الأول من هذا العرض هم أولئك الأفاضل الذين تأخرنا في تعريف أنفسنا لهم لمن لا يعرف جمعيتنا منهم فلم يعرفوا تاريخ هذه الجمعيات التي فنيت أعمار مشايخها في خدمة بلادهم ديانة والحرص على استقرارها فطرة، فضلاً عن كونه دينًا أيضًا. إن كان هؤلاء الأفاضل هم المستهدفون إلا أنهم ربما لا تصل إليهم مجلتنا ولا أقلامنا لذا كانت مناشدتي لإخواني أن يقوموا بواجبهم تجاه جمعيتهم في إيصال الحق للناس بنشره وسريانه وتفصيله وبيانه على أمل في إصدار الكتاب الجامع السالف الإشارة إليه الذي يذكر العالمين ويعرف الناشئين أو غير المتابعين بهذه الجمعية المباركة، وفي هذا القدر كفاية

والحمد لله رب العالمين.

منهج القرآن في مراعاة بيئة الدعوة وتوصيف المرحلة

إعداد **د. أمين الدميري**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد أرسل الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم في بيئة جاهلية وشرك؛ فكانت دعوته إلى توحيد الله تعالى وانذار قومه واقامة الحجة عليهم وبيان فساد معتقداتهم وذلك بالحكمة وعلى بصيرة تجلت في مراعاة بيئة الدعوة والمرحلة التي تمر بها، وقد تمثل ذلك فيما يلي:

١- البدء بعشيرته الأقربين بمكة: قال تعالى: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ» (الشعراء: ٢١٤)، ثم بمن حولها، قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ» (الشورى: ٧).

٢- البدء بالتوحيد وشرح مقتضياته من نبذ الشرك وعبادة الأصنام، ونقض وابطال مظاهر الجاهلية وتصوراتها وتفعيل ركني التوحيد وهما النفي والإثبات بإعلام قومه أنه "لا إله إلا الله".

٣- مواجهة ردود أفعال مشركي مكة الغاضبة تجاه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وضبط النفس وتحمُّل الأذى وعدم رد العدوان؛ لأن الدعوة الجديدة تتصادم مع مصالحهم ومناصبهم؛ لذا كانت وصايا القرآن في هذه المرحلة (المكية) هي الصبر والتذكير بحال السابقين من المؤمنين ومآل المكذبين المعاندين.

٤- المحافظة على كيان الفئة القليلة المؤمنة، واعدادها وتجهيزها لتحمل التكاليف وأمانة نشر الدعوة وتبليغ الرسالة.

ولعل تلك الأمور كانت هي الطابع العام لسور القرآن في المرحلة المكية والتي تزيد على ثمانين سورة (قيل ست وثمانون سورة). ثم كانت الهجرة، وبدأت مرحلة جديدة حيث صار للمسلمين دولة تحتِّم توطيد أركانها والمحافظة على كيانها، وكان لابد من حماية الدعوة والدولة، ورد العدوان الواقع أو المتوقع عليها؛ فكان فرض القتال والزكاة وغير ذلك من فرائض وتكاليف، وواجهت الدعوة أعداءها من اليهود والمنافقين والمشركين. تبين مما سبق أن الحكمة اقتضت مراعاة بيئة الدعوة والمرحلة التي تمر بها من حيث الاستضعاف أو التمكين؛ ففي مكة كان الصبر وتحمل الأذى حكمة، كما كان القتال لرد العدوان في المدينة المنورة بعد الهجرة حكمة الحكمة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حالتين لا تنفك عنهما الدعوة، وبيّن متطلبات كل مرحلة

منهما: الأولى: حال التمكين في قوله تعالى: « ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ » (الحج: ٤١).

ففي الآية بيان واجبات ومتطلبات المرحلة والتي تهدف إلى المحافظة على كيان الدولة وتماسكها، وإقامة شعائر الإسلام وشريعته والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. الثانية: حال الاستضعاف وإرادة التمكين: في قوله تعالى: « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (النور: ٥٥- ٥٦).

وفيها بيان شروط التمكين، وأولها وأهمها تحقق شرط توحيد العبودية لله بكل ما تحمل من معاني ومقتضيات من المحبة والخوف والرجاء والإنابة والإذعان والخضوع لمن له الخلق والأمر، ومع ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول: تلك هي معالم الطريق إلى أن يأتي ويتحقق وعد الله عز وجل تفضلا منه ومنة ورحمة.. وسواء في تلك المرحلة أو غيرها فإن على المسلم أن يسعى لتحقيق العبودية لله في نفسه وبيئته بل في كل بقاع الأرض ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. والدعوة إلى توحيد الله عز وجل فريضة مستمرة امتثالا لقول الله تعالى: « قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ » (يوسف: ١٠٨).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض دعوته ويبلغ رسالة ربه، امتثالا لأمر ربه، ولما استقر له الأمر في المدينة كان يرسل الرسل والبعوث، وكان يتخير صفوة أصحابه لأداء تلك المهمة، ومن ذلك أنه أرسل معاذا رضي الله عنه إلى اليمن داعيًا وواليًا وقاضيًا، وقد اختاره لما له من فضائل ومناقب منها: قوله صلى الله عليه وسلم: "أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل" (رواه الإمام أحمد). وقوله صلى الله عليه وسلم له: "والله يا معاذ إني لأحبك".

وفي أول كتاب التوحيد من صحيح البخاري عن ابن عباس: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: "إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله" وفي رواية: "إلى أن يوحدوا الله". فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم.. "(صحيح البخاري: ٧٣٧٢).

والكلام عن الحديث يحتاج إلى وقفات وتأملات لكن نكتفي بالإشارة إلى ما يلي:

١- فرضية تبليغ الدعوة وأهمية إعداد الداعي البصير، وقد تحقق ذلك في اختيار معاذ رضي الله عنه لهذه المهمة فهو من أعلم الصحابة رضي الله عنهم.

٢- معرفة بيئة الدعوة، ذلك لأنه لا بد من تشخيص الداء قبل وصف الدواء: فقوله: "إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب": قال الحافظ في الفتح: (هي كالتوطئة للوصية وليتهيأ لمناظرتهم). فالقوم أصحاب كتاب سابق لكنهم حرفوا وغيروا عن علم، وتحولوا من التوحيد إلى التثليث، وأدخلوا في عقيدتهم البنوة والصلب وأغلاط وأخلاط ما أنزل الله بها من سلطان، وادعوا أن عيسى ابن الله وعزير ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا: فكان لا بد من دعوتهم إلى وحدانية الله الذي لا ولد له ولا شبيه له ولا شريك له ولا ند له.

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: "تدعوهم إليه": إشارة وتعليم ودلالة على أن الدعوة إنما هي الدعوة إلى توحيد الله وشهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله: فإذا أقر ونطق بها إنسان فإنه يتحول في الحال من أمة الدعوة إلى أمة الإجابة ويصير فردًا منها وملزمًا بتكاليفها: فقد جاء في الحديث: "فأعلمهم". وفي رواية "فأخبرهم" ولم يقل فادعهم إلى الصلاة أو الزكاة، لأنه عرف الأمر قبل أن يُعلم بالأمر، ولأنه متى أخبر وأعلم بما يجب عليه من أوامر ونواه: فإنه ينقاد ويستجيب في الحال بلا مناقشة ولا تردد، ولأنه شهد وأقر بـ"لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وعلامة ذلك وأمارته أن يأتي بمقتضيات تلك الشهادة، وإلا فالأمر فيه نظر فالحذر الحذر.

نسأل الله السلامة والعافية.

مقالات في معاني القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة طه

قوله تعالى: (وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ) (طه:١٣).

القراءات: قرأ حمزة (وأنَا اخترناك) على لفظ الجمع للتعظيم لله والمبالغة في الإجلال له، وقرأ الباقون (وأنا اخترتك) على لفظ الواحد حملا على ما قبله من (إني أنا ربك)، وبعده من (إنني أنا الله) (لطائف الإشارات للقسطلاني ٦/١٢٤، الكشف لمكي بن ابى طالب ٢/٢٠٢).

ومن نظائره في هذه السورة قوله تعالى (قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم) وقوله: (كلوا من طيبات ما رزقناكم).

قرأ حمزة والكسائي وخلف (أنجيتكم- وواعدتكم- ما رزقتكم) وقرأ الباقون بالجمع إلا أن أبا جعفر وأبا عمرو ويعقوب يقرؤون (ووعدناكم) بحذف الألف بعد الواو.

قوله تعالى: (وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ) (طه:٨١).

القراءات: (فيحل) و(يحلل) قرأ الكسائي بضم الحاء في الأول، وضم اللام الأولى في الثاني، من الحلول وهو: النزول أي فيقع وينزل عليكم غضبي، وقرأ الباقون بكسر الحاء في الأول واللام في الثاني ومعناه: فيجب عليكم غضبي (تفسير الطبري- سورة طه: ٨١).

قوله تعالى: (قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا) (طه:٨٧).

القراءات: (بملكنا) قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم بفتح الميم، وحمزة والكسائي وخلف بضمها، والباقون بكسرها

المعنى: (بمَلكنا- بمُلكنا) بمعنى واحد أي بقدرتنا وطاقتنا، وبالكسر (بمِلكنا) معنى ملك الشيء (تفسير الطبري سورة طه: ٨٧)

قوله تعالى: (وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا) (طه:٨٧).

القراءات: (حملنا): قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وابن عامر وحفص ورويس (حُمِّلنا) ادعوا أن غيرهم حملهم على ما صاغوا منه العجل، وقرأ الباقون (حَمَلنا) أضافوا الفعل إلى أنفسهم

قوله تعالى: (وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ) (طه: ٩٧).

القراءات: (تخلفه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسر اللام، أي لن تتخلف عن الاتيان إلى الموعد وهو الحشر يوم القيامة ولا تقدر على غير ذلك، وقرأ الباقون بفتح اللام، أي لن يخلفك الله الموعد بل يبعثك إليه من قبرك ويحاسبك على ما فعلت (معانى القراءات للأزهري ص ٣١٧، الكشف

٢/ ٢١٠).

قوله تعالى: (يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ) (طه:١٠٢).

القراءات: قرأ أبو عمرو (نَنفُخُ) والمعنى أن الله أخبر عن نفسه على أن يكون آمرًا بذلك، وقرأ الباقون (يُنْفَخُ) أي ينفخ ملك الصور في الصور

قوله تعالى: (لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ) (طه: ١٣٠).

القراءات: (ترضى) قرأ شعبة والكسائي بضم التاء (تُرْضى)، قال أبو عبيد: (فيه وجهان: أحدهما أن يراد (تعطى الرضى ويرضيك الله).

والوجه الآخر أن يكون المعنى: (يرضاك الله) بدلالة قوله (وكان عند ربه مرضيًا) وقرأ الباقون بفتح التاء (تَرضى) أي لعلك ترضى عطاء الله (حجة القراءات لابن زنجلة: ٢٢٣-٢٢٤).

من سورة الأنبياء

قوله تعالى: (قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ) (الأنبياء: ٤).

القراءات: قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف (قال) على أنه فعل ماض أخبر به. وقرأ الباقون (قُلْ) على أنه أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم أن الله يعلم القول وهو جواب ورد لقولهم (أفتأتون السحر) (الحجة لابن خالويه ص ١٥٠، الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ٢١٤)

قوله تعالى: (وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ) (الأنبياء: ٤٥).

القراءات: قرأ ابن عامر (ولا تُسمع الصمَّ) على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يُسمع الصم وهم المعرضون عن الوحي، وقرأ الباقون (ولا يَسمع الصمُّ) فأضاف الفعل إلى الصم وفيه معنى الذم لهم لتركهم استماع ما يجب عليهم استماعه وقبوله (معاني القراءات للأزهري ص ٣٢٢، الكشف ٢/ ٢١٤).

قوله تعالى: (وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ) (الأنبياء: ٨٠).

المعنى: يمتن الله عز وجل على عباده بتعليمه داود عليه السلام صناعة الدروع لتكون وقاية في الحروب (تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٦/ ٤٠٥).

القراءات: (لتحصنكم) بتاء التأنيث قراءة ابن عامر وحفص وأبو جعفر، وقرأ شعبة ورويس بالنون (لنحصنكم)، والباقون بياء التذكير (ليحصنكم).

معنى القراءات: (لتحصنكم) أي الصنعة. وقيل رده على معنى اللبوس؛ لأن اللبوس هي الدرع، والدرع مؤنثة. (ليحصنكم): رده على لفظ اللبوس، وقيل ليحصنكم داود من بأسكم، أو ليحصنكم التعليم المذكور في قوله (وعلمناه)، أو هو مردود إلى الله جل ذكره أي ليحصنكم الله من بأسكم، فيتحد مع معنى قراءة (لنحصنكم) (الكشف ٢/ ٢١٦).

قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) (الأنبياء: ٩٦).

القراءات: (فتحت) شدد التاء ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب، وخففها الباقون. وقرأ عاصم (يأجوج ومأجوج) بهمزة ساكنة فيهما والباقون بإبدالها ألفا (ياجوج وماجوج).

المعنى: (فتحت) بالتخفيف لأنه سد واحد، وفى قراءة التشديد (فُتِّحت) معنى التكرير والتكثير؛ لأن الفتح لأشياء مختلفة (السد والبناء والردم) (الكشف ٢/ ٢١٨).

قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ) (الأنبياء: ١٠٤).

القراءات: قرأ أبو جعفر (يوم تُطْوى السماءُ كطي السجل للكتاب)، وقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف (يوم نطوى السماءَ كطي السجل للكتب)، وقرأ الباقون (يوم نطوى السماءَ كطي السجل للكتاب).

المعنى: قراءة أبي جعفر بالبناء لما لم يُسَم فاعله للعلم به وهو الله عز وجل، و(الكتب) بالجمع ناسب طي السماء؛ لأنها مفرد أريد به الجمع والمعنى يوم تطوى السماوات كطي الملك للكتب، وعلى الإفراد (الكتاب) يكون المعنى: كطي الصحيفة على المكتوب فيها (طلائع البشر- محمد صديق قمحاوي ص: ١٢١).

والحمد لله رب العالمين.

بغية الكمال بأفضل الأعمال

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد: فقد ابتدأنا في شهر ذي القعدة شرح حديث الصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه عن سؤاله عن أفضل الأعمال، في الصحيحين عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: (الإيمان بالله، والجهاد في سبيله). قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: (أنفَسُها عند أهلها، وأعلاها ثمنًا). قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: ((تُعين صانعًا، أو تصنع لأخرق))، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضَعُفت عن بعض العمل؟ قال: (تكُفُّ شرك عن الناس؛ فإنها صدقةٌ منك على نفسك).

وتفضل الله علينا بعرض روايات أخرى لنفس السؤال بلفظه أو بمعناه إذ تكرر السؤال من بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لحرصهم على الخير.

- ومن ذلك:

- حديث ابن مسعود رضي الله عنه قالَ: " سَألْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: (الصَّلاةُ على وقْتِهَا)، قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: (ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ) قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: (الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ).

- وعَنْ أبِي أُمَامَةَ: " أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قالَ: (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا عِدْلَ لَهُ) ".

- وعن عمرو بن عبسة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: (عَمَلانِ هُمَا أفْضَلُ الْأعْمَالِ إلَّا مَنْ عمل بمثلهمَا: حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ أَوْ عُمْرَةٌ) وصححه محقق المسند.

- وَعن أبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: " قالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أيُّ الإِسْلَامِ أفْضَلُ؟ قالَ: (مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ،

وَيدِهِ)".

- وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: (لا أَجِدُهُ)، قَالَ: (هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلا تُفْطِرَ؟)، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟

وهذه الروايات جميعًا تقدم تخريجها في شهرنا الخالي، وكذا تقدم الجمع بينها وأن الخلاف بينها ظاهري والتوفيق بينها علم ضروري؛ إذ طالما صحت الروايات فالجمع والتوفيق أصبح من الضرورات فلا تعطيل لنص صحيح والفرائض مقدمة على النوافل وأول الفرائض وأعلاها هو الإيمان ومتى أراد الله بالعبد كمالاً، وفَّقه لاستفراغ وُسعه فيما هو ميسَّر له، فإذا استفرغ وسعه، ترقى إلى غيره وقد تفضل الله علينا بنقل كلام نفيس في ذلك لشيخي الإسلام ابن القيم وابن حجر رحمهما الله وغيرهما؛ فليراجع كله تفضلاً في باب السنة العدد السابق من مجلتنا، وذلك منعًا للتكرار.

هذا وبغية للكمال بأفضل الأعمال نستكمل بمشيئة الله تعالى ذاكرين لبعض:

> “ الأعمال بعضها أفضل من بعض؛ إذ تتفاوت الأعمال بحسب الأوقات والأحوال بل قد يكون العمل الواحد هو الفاضل في وقت وهو المفضول في وقت آخر. ”

مما يستفاد من الحديث غير ما سبق بيانه.

الفائدة الأولى: الأعمال مراتب في الفضل

وأحاديث الباب دليل على أن الأعمال بعضها أفضل من بعض؛ إذ تتفاوت الأعمال بحسب الأوقات والأحوال بل قد يكون العمل الواحد هو الفاضل في وقت وهو المفضول في وقت آخر، ومثاله ما قاله القرطبي في المفهم (١/٢٧٦): "وقد يكون الجهاد في بعض الأوقات أفضل من سائر الأعمال، وذلك في وقت استيلاء العدو وغلبته على المسلمين، كحال هذا الزمان، فلا يخفى على من له أدنى بصيرة أن الجهاد اليوم أوكد الواجبات، وأفضل الأعمال؛ لما أصاب المسلمين من قهر الأعداء، وكثرة الاستيلاء شرقًا وغربًا، جبر الله صدعنا، وجدِّد نصرنا".

الفائدة الثانية: أفضل الأعمال قاطبة هو الإيمان بالله؛ وإذا أطلق الإيمان مقصورًا على (الإيمان بالله) فالمراد به الإيمان المنجي من النار وهو:

- (إيمان بالله ورسوله)؛ ولذا جاء في الرواية الأخرى: (إيمان بالله ورسوله) فلا حجة عندئذ لقوم جعلوا مع الإسلام أديانًا أخرى بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم تحت وطأة الخوف وبمسميات ودعاوى عناوينها مترادفة براقة أيضًا ظاهرها رحمة وحق وباطنها عذاب وباطل إذ قال تعالى: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ)(آل عمران: ١٨)؛ فقد نسخ الإسلام كل الشرائع، والحمد لله على نعمة الإسلام.

- وكذلك إذا أطلق الإيمان فقد أراد الإيمان المنجي من النار وهو ما كان اعتقادًا بالقلب وإقرارًا باللسان وعملًا بالجوارح والأركان، وهذه الإجابة تدل على أن الإيمان قول وعمل، قول بالقلب (وهو التصديق) وقول باللسان، وعمل بالقلب

(وهو الاستسلام) وعمل بالجوارح وهو ما عليه أهل السنة والجماعة فلا يخرج العمل عن مسمى الإيمان فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل عن أيّ الأعمال أفضل، فأجاب (إيمان بالله ورسوله)؛ فدل ذلك على الايمان الذي هو تصديق القلب وقول الشهادتين وسائر أركان الإسلام وصالح الأعمال كلها كل ذلك يدخل في مسمى العمل الذي يُؤجر عليه الإنسان وكلف به في الوصول إلى رحمة الله، فليس بمقبول من ادعى الايمان بغير ما سبق بيانه.

هذا ولا يتعارض المعنى الشرعي السالف ذكره مع المعنى اللغوي الذي تمسك به بعض الناس والذي هو التصديق إذ الإيمان تصديق شرعي مخصوص فالتصديقُ يكونُ بالقَلبِ واللّسانِ والجـوارحِ، وهو ما يُسمّيه السَّلفُ بقَولِ القلبِ، وهذا التصديقُ لا ينفَعُ وَحْدَه، بل لا بُدَّ معه من الانقيادِ والاستسلامِ، وهو ما يُسمَّى بعَمَلِ القَلبِ، ويلزَمُ من ذلك قولُ اللّسانِ، وعَمَلُ الجوارحِ، وهذه الأجزاءُ مترابطةٌ، لا غنى لواحدةٍ منها عن الأخرى فهو قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويتفاضل أهله فيه، فليسوا فيه سواءً فلا يُتصور المساواة بين إيمان أبي بكر رضي الله عنه وايمان غيره من الطائعين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن عصاتهم

> الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويتفاضل أهله فيه، فليسوا فيه سواءً.

الفائدة الثالثة: بذل الأغلى ثمنا أعظم أجرا:

وهو مأخوذ من سؤاله: أي الرقاب أفضل؟ يعني أي الرقاب التي تعتق في سبيل الله أفضل؟ والفضل هنا في الأجر والثواب والترغيب في الإعتاق، قال -صلى الله عليه وسلم-:

أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها.

ومعناه أعلاها رغبة وما يتمسك به الناس من أموالهم، وهذا وإن كان جوابًا في العتق، إلا أنه في كل أنواع المال، فإن الأفضل في الصدقة ما كان أعلى ثمنًا وما كانت النفس متعلقة به أكثر؛ لذلك قال الله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) فإذا أخرج الإنسان ما يحب لله -عز وجل- كان ذلك برهان صدقه وصحة إيمانه وكمال رغبته فيما عند الله - عز وجل-.

الفائدة الرابعة: ومعونة الناس من أحب الأعمال إلى خالقهم:

من قوله - صلى الله عليه وسلم-: "تعين صانعًا أو تصنع لأخرق": تعين صانعًا أي: تعين من يحتاج إلى عون في صناعته فهذا إحسان بالبدن والجهد.

والوجه الثاني من أوجه الإحسان بالبدن أو تصنع لأخرق أي: تعين من لا يحسن الصناعة بالصناعة له.

الفائدة الخامسة: والترك يعتبر من الفعل الذي يؤجر عليه

حديث أبي ذر رضي الله عنه دليل على هذا، وذلك خلافًا لمن قال من الأصوليين: إن الترك نفي لا يدخل ضمن التكليف، وحديث الباب دليل على دخوله؛ حيث يؤجر العبد الذي يكفّ الشر عن الناس؛ فقد اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم صدقة منه على نفسه، ولا شك من كون النية شرطًا في ذلك كما أفاده القرطبي في المفهم (٢٧٨/١) حديث (٦٦) قال: "غير أن الثواب لا يحصل على الكف إلا مع النيات والمقصود، وأما مع الغفلة والذهول فلا، والله أعلم" (وينظر تفصيلا ماتعًا في " مجموع الفتاوى " (١٠ / ٧٣٨) وشفاء العليل " ص ١٧٠. " جامع العلوم والحكم " (٢ / ٣٢١)).

> “ يُؤجر العبد الذي يكفّ الشر عن الناس؛ فقد اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم صدقة منه على نفسه. ”

الفائدة السادسة: وأقل الأعمال أن تكف شرك عن الناس:

فقال أبو ذر رضي الله تعالى عنه للنبي -صلى الله عليه وسلم-: "أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل" يعني إذا ما فعلت هذه الفضائل مما ليس بواجب قال: "تكف شرك عن الناس؛ فإنه صدقة منك على نفسك"، فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم- بكفّ شره عن الناس، القريب والبعيد، فإن كفّ الإنسان شرّه وأذاه عن الناس سواءً كان الأذى قوليًا أو عمليًا أو قلبيًا بالحسد والعجب والاحتكار بكل أوجه الأذى، فتكفّ شرك وهو كل ما يتأذى به الناس عقدًا بالقول، أو قولًا باللسان، أو عملًا بالجوارح فإنه صدقة منك على نفسك.

فإذا طهرت قلبك من الحسد والحقد والغل والعجب، وإذا طهرت لسانك من السبّ والشتم والهمز واللمز، إذا طهرت فعلك عن الأذى في الأنفس والدماء وفي الأموال وفي غير ذلك مما تطاله جوارحك بإعطاء الحقوق لأهلها؛ فأبشر فإنك قد تصدّقت بذلك على نفسك، فكفّ شرّك عن الناس مما تتقرب به إلى الله -عز وجل-؛ إذ إنه صدقة منك على نفسك.

وفي هذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

أحكام متعلقة بفقه النكاح

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن إشهاد عدلين في النكاح، وإعلان النكاح، وخطبة النكاح، والترغيب في الضرب بالدف لإعلان النكاح، والدعاء بعد العقد، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

وليمة العرس:

أولا: تعريفها:

الوليمة لغة: اسم لكل طعام يتخذ لجمع، والجمع ولائم، وأولم: صنع وليمة. المصباح المنير (٢/٦٧٢).

والوليمة: طعام العُرس والإملاك، وقيل: هي كل طعام صنع لعُرس وغيره.

قال أبو عبيد: سمعت أبا زيد يقول: يسمى الطعام الذي يصنع عند العرس الوليمة والذي عند الإملاك النقيعة... وأصل هذا كله من الاجتماع. لسان العرب (٩/٤٠٣).

الوليمة شرعًا: الوليمة اسم لكل دعوة أو طعام يتخذ لحادث سرور أو غيره، لكن استعمالها مطلقة في العرس أشهر وفي غيره مقيدة، فيقال: وليمة ختان أو غيره. نهاية المحتاج (٦/٣٦٩).

ثانيًا: حكمها:

اختلف الفقهاء في حكم وليمة العرس على قولين:

القول الأول: وليمة العرس مستحبة، وهذا مذهب مالك وأحمد وكثير من الشافعية وغيرهم.

وحجتهم:

١- أن الوليمة طعام لحادث سرور، فلم يجب كسائر الولائم.

٢- أن سبب هذه الوليمة عقد النكاح وهو غير واجب، ففرعه أولى أن يكون غير واجب.

٣- أن الوليمة لو كانت واجبة لكانت مقدرة كالزكاة والكفارات، ولكان لها بدل عند الإعسار كما يعدل المكفر في إعساره إلى الصيام، فدل عدم تقديرها وبدلها على عدم

وجوبها.

٤- ولأن الوليمة لو وجبت لكان مأخوذ بفعلها حيًا ومأخوذ من تركته ميتًا كسائر الحقوق. الحاوي الكبير (٥٥٦/٩).

القول الثاني: وليمة العرس واجبة، واليه ذهب أهل الظاهر وبعض الشافعية.

وحجتهم:

١- عن حُميد عن أنس قال: «أَوْلَمَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بزَيْنَبَ فأَوْسَعَ المُسْلمينَ خَيْرًا فخَرَجَ كمَا يَصْنَعُ إذا تَزَوَّجَ فأَتى حُجَرَ أُمَّهاتِ المُؤْمنينَ يَدْعُو ويَدْعُونَ له ثُمَّ انْصَرفَ فَرأَى رَجُلَيْنِ فرَجعَ لا أَدْري آخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ بخُروجهمَا». أخرجه البخاري (٥١٥٤) ومسلم (٩١- ١٤٢٨) بنحوه.

- وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف حين تزوج «أَوْلِمْ وَلَوْ بشَاة». أخرجه البخاري (٥١٥٥) ومسلم (١٤٢٧).

وجه الدلالة:

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عبد الرحمن بن عوف بالوليمة في قوله «أَوْلِمْ وَلَوْ بشاة» هذا والأمر يدل على الوجوب.

٢- ولأنه لما كانت إجابة الداعي إليها واجبة فلأن يكون فعل الوليمة واجبًا من باب أولى.

أقوال أهل العلم:

قال صاحب المغني (٤/٧): وليست واجبة في قول أكثر أهل العلم. وقال بعض أصحاب الشافعية هي واجبة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بها عبد الرحمن بن عوف ولأن الإجابة إليها واجبة فكانت واجبة. ولنا: أنها طعام لسرور حادث فأشبه سائر الأطعمة والخبر محمول على الاستحباب بدليل ما ذكرناه وكونه أمر بشاة ولا خلاف في أنها لا تجب وما ذكروه من المعنى لا أصل له ثم هو باطل بالسلام وإجابة المسلم واجبة.

قال الماوردي في الحاوي (٥٥٦/٩): فاختلف أصحابنا في وجوبها على وجهين، ومنهم من خرجه على قولين: أحدهما: أنها واجبة لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم... وساق حديث عبد الرحمن بن عوف... ولأنه لما كانت إجابة الداعي إليها واجبة دل على أن فعل الوليمة واجب. والثاني: وهو الأصح أنها غير واجبة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ في المَالِ حَقٌ سوَى الزَّكَاة»، ولأنه طعام لحادث سرور فأشبه سائر الولائم. ولأن سبب هذه الوليمة عقد النكاح وهو غير واجب، ففرعه أولى أن يكون غير واجب.

ولأنها لو وجبت لتقدرت كالزكاة والكفارات ولكان لها بدل عند الإعسار كما يعدل المكفر في إعساره إلى الصيام فدل عدم تقديرها وبدلها على سقوط وجوبها، ولأنها لو وجبت لكان مأخوذ بفعلها حيًا ومأخوذ من تركته ميتًا كسائر الحقوق.

تعقيب وترجيح:

والذي يظهر لي صحة ما ذهب إليه الجمهور من استحباب وليمة العرس. ويقوي هذا القول عندي ما أورده الإمام الماوردي في الحاوي من أدلة وبراهين صحيحة وقوية في إثبات استحباب الوليمة، والله تعالى أعلم وأحكم.

ثالثا: جواز الوليمة دون ذبح:

عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم: «أَوْلَمَ عَلَى صَفيَّةَ بسَويق وتَمر» أخرجه البخاري بنحوه (٣٧١) وصحيح أبي داود (٣٧٤٤)، وصححه العلامة مقبل بن هادي الوادعي (٧٨/٣) واللفظ لأبي داود.

جاء في تحفة الأحوذي (٤/ ١٨٣): ولولا ثبوت أنه صلى الله عليه وسلم أولم على بعض نسائه بأقل من الشاة لكان يمكن أن يستدل على أن الشاة أقل ما تجزئ في الوليمة، ومع ذلك فلا بد من تقييده بالقادر عليه. قال عياض: وأجمعوا على أن لا حدَ لأكثرها، وأما أقلها فكذلك، ومهما تيسر أجزأ والمستحب أنها على قدر حال الزوج.

رابعًا: إجابة الداعي إلى وليمة العرس:

اختلف الفقهاء في حكم إجابة الداعي إلى وليمة العرس على قولين:

القول الأول: وجوب الإجابة إلى وليمة العرس دون غيرها من الولائم، وإليه ذهب جمهور أهل العلم: الحنفية والمالكية وجمهور الشافعية والحنابلة.

وحجتهم:

١- عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دُعيَ أحدُكمْ إلى الْوَليمَة فَلْيأْتِهَا». أخرجه البخاري (٥١٧٣) ومسلم (١٤٢٩).

وفي رواية: «إذَا دُعيَ أَحَدُكُمْ إلَى الْوَلِيمَة فَلْيُجِبْ- أخرجه مسلم (٩٨-١٤٢٩).

٢- عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا دُعيَ أَحَدُكُمْ إلَى طَعَام فَلْيُجِبْ فَإنْ شَاءَ طَعِمَ وَإنْ شَاءَ تَرَكَ». أخرجه مسلم (١٤٣٠) وأبو داود (٣٧٤٠) وغيرهما.

٣- عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَة يُدْعَى إلَيْه الأَغْنيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ. فَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى الله وَرَسُولَهُ» أخرجه البخاري (٥١٧٧) ومسلم (١٤٣٢). قال الحافظ: وأول هذا الحديث موقوف، ولكنّ آخره يقتضي رفعه. فتح الباري (١٥٣/٩).

وجه الدلالة:

دلت الأحاديث على وجوب إجابة الدعوة إلى وليمة العرس؛ لأن الأمر للوجوب ما لم يأت صارف، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الذي لم يجب عاصيًا، والعصيان لا يطلق إلا على ترك الواجب- فتح الباري (١٥٤/٩)، شرح منتقى الأخبار (٢١٣/٦).

القول الثاني: تجب الإجابة إلى كل دعوة من عرس وغيره، وإليه ذهب أهل الظاهر وبعض الشافعية والصنعاني.

وحجتهم: الأحاديث السابقة الدالة على الوجوب مطلقًا كما تقدم.

أقوال أهل العلم في ذلك:

جاء في الاستذكار (٥/٥٣١-٥٣٢): قال مالك والثوري: يجب إتيان وليمة العرس، ولا يجب غيرها. وقال الشافعي: إجابة وليمة العرس واجبة، ولا أرخص في ترك غيرها من الدعوات التي يقع عليها اسم وليمة كالإملاك والنفاس والختان وحادث سرور ومن تركها لم يتبين لي انه عاص كما تبين لي في وليمة العرس..

قال ابن عبد البر: وما أعلم خلافًا بين السلف من الصحابة والتابعين في القول بالوليمة وإجابة من دعا إليها.

وعلى كل حال، فإجابة دعوة الداعي إلى الطعام حسنة مندوب إليها مرغوب فيها، وهذا أقل أحوالها، وإلا أن يكون فيها من المناكير المحرمة ما يمنع من شهودها.

فائدة: قال الحافظ ابن حجر بعد أن حكى وجوب الإجابة إلى الوليمة:

وشرط وجوبها أن يكون الداعي مكلفا حرا رشيدا وأن لا يخص الأغنياء دون الفقراء وسيأتي البحث فيه في الباب الذي يليه وأن لا يظهر قصد التودد لشخص بعينه لرغبة فيه أو رهبة منه وأن يكون الداعي مسلما على الأصح. فتح الباري (٩/ ٢٤٢).

تعقيب وترجيح

أرى-والله أعلم- وجوب الإجابة إلى كل وليمة سواء كانت وليمة عرس أو غير ذلك؛ لأن الأمر جاء في الأحاديث صريحًا، وأصل الأمر للوجوب ما لم يأت صارف يصرفه عن الوجوب كما تقرر في الأصول، والله تعالى أعلم.

خامسًا: ما يقول الرجل عند الزواج:

يسن للرجل عند دخوله على زوجته أن يقول هذا الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم.

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم «إذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ إنِي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْه وَأَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْه وَإذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَة سَنَامِه وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلكَ». صحيح سنن أبي داود (٢١٦٠).

سادسًا: ما يقول الرجل إذا أتى أهله:

عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتي أَهْلَهُ بِاسْمِ الله اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا في ذَلكَ أَوْ قُضيَ وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» أخرجه البخاري (٥١٦٥) ومسلم (١٤٣٤).

وللحديث صلة إن شاء الله.

أحاديث الآحاد

في الأحكام والاعتقاد

إعداد **د. عبد الوارث عثمان**

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، وبعد:

في موضوعنا السابق (السنة النبوية بين الحقيقة ومزاعم التجديد) تناولنا الشبهات التي زعمها المنكرون المارقون المبطلون حول السنة النبوية بغية إنكارها وإبطال العمل بها والاكتفاء بالعمل بما جاء في القرآن الكريم. وكان الصحابة رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصار، قد بذلوا المال والنفس لإعلاء كلمة الله والزود عن دينه وعن نبيه صلى الله عليه وسلم، فنقلوا إلينا الوحى الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفوا فعله وبينوا صفاته وأخلاقه، وأظهروا ما أقرهم عليه، ووضحوا أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم، وقاموا بتبليغ رسالة الإسلام الخالدة وتمسكوا بسنته وعضوا عليها بالنواجذ. فقد توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يزال الإسلام في جزيرة العرب فخرجوا به عمليًا إلى كافة ربوع الأرض، وقد اقتفوا أثره صلى الله عليه وسلم، وهم أقدر الخلق على فهم المراد من الكتاب والسنة لمعاصرتهم النبي صلى الله عليه وسلم، ولما أولاهم الله تعالى بفضل السبق ووفقهم لبذل الجهد وهيأهم لحمل أمانة الدين.

وكان خبر الواحد منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ينال التصديق ويترتب علية مسؤولية تعبدية وايمانية تبلغ حد اليقين كما حدث في تحويل القبلة وتحريم لحم الحمير وغيرها من الأحكام التي سرت في أمة الإسلام وكونت شريعتها وبنى عليها الفقهاء لم يشذ منهم أحد أول قواعدهم الفقهية وهي قاعدة: (لا عمل إلا بنية) بناء على حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى) إضافة إلى ذلك فقد تكلم العلماء عن حجية أحاديث الآحاد في مسائل العقيدة، ولعل الخلاف في حجية حديث الواحد في المسائل الفقهية يكاد يكون معدوما، لكن الخلاف في حجيته في مسائل الاعتقاد أكثر وإن كان الراجح أنه حجة في العقيدة كما أنه حجة في الفقه، لكن بشروط، حيث اتفق العلماء فيها على نقاط فيما يتعلق بخبر الواحد، كما أن هناك مسائل اختلفوا فيها فيما يختص بخبر الواحد.

فأما ما اتفق عليه العلماء: (١) أن خبر المعصوم يفيد العلم. (٢) إذا تلقت الأمة خبر الآحاد بالقبول فإن هذا الخبر يفيد العلم أيضا. (٣) إذا أجمعت الأمة على أنها عملت بمقتضى خبر الآحاد، واستندت إليه في إجماعها أفاد هذا الخبر العلم، حيث أن الأمة لا تستند إليه إلا وقد صح عندهم، فهي لا تجتمع على ضلالة. (٤) خبر الواحد غير العدل لا يفيد العلم، هذا ما اتفقوا عليه.

وقد اختلف العلماء في إثبات مسائل العقيدة بأحاديث الآحاد، ومرد خلافهم في هذا هل خبر الواحد يفيد العلم اليقيني أم لا؟ وقد نقل هذا الخلاف الإمام ابن حزم الأندلسي فقال: اختلفوا في الواحد العدل إذا أخبر بخبر هل يفيد خبره العلم؟ وعلى هذا، فالعلماء في هذه المسألة ثلاث فرق: الأولى: ترى أن خبر الواحد لا يفيد العلم مطلقا، وهو مذهب جمهور الأصوليين والمتكلمين، ومذهب الأئمة الثلاثة أبي حنيفة ومالك والشافعي ومحققي الحنابلة، وهو عندهم يفيد وجوب العمل، لكنه لا يفيد العلم، سواء بقرينة أم بغير قرينة.

ونقل هذا الرأي عن الإمام ابن عقيل، وابن الجوزي، وعدد من أئمة الشافعية: كالنووي ،وأبي بكر الباقلاني، وأبي حامد الإسفراييني، وابن برهام وفخر الدين الرازي، والآمدي، وإمام الحرمين، وابن الحاجب، والسبكي، والبيضاوي، وأبي الحسين البصري، وهو الذي أيده شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

الفرقة الثانية: وهي ترى أن حديث الواحد يفيد العلم مطلقا، وهو مذهب أحمد وداود الظاهري، والحارث المحاسبي، والكرابيسي وجمهور المحدثين، وهو منسوب لعامة السلف وعامة الحنابلة في هذا العصر.

قال الشوكاني: "وقال أحمد بن حنبل: إن خبر الواحد يفيد بنفسه العلم. وحكاه ابن حزم في "الإحكام" عن داود الظاهري، والحسين بن على الكرابيسي، والحارث المحاسبي قال: وبه نقول، وحكاه ابن خويز منداد عن مالك بن أنس، واختاره وأطال في تقريره، ونقل عن القفال أنه يوجب العلم الظاهر".(إرشاد الفحول ص ٤٨).

وقال ابن الصلاح: " ما أسنده البخاري ومسلم يفيد العلم اليقيني والنظري واقع به، خلافا لمن نفى ذلك، محتجا بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن، وانما تلقته الأمة بالقبول، لأنه يجب عليهم العمل بالظن والظن قد يخطئ. قال: وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قويا ثم بان لي أن المذهب الذي اخترناه أولا هو الصحيح؛ لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ، والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ ". (مقدمة ابن الصلاح ص ١٤).

وقال ابن قاضي الجبل: " مذهب الحنابلة أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لاثبات أصول الديانات، ذكره القاضي أبو يعلى في "مقدمة المحرر" والشيخ تقي الدين في عقيدته. انظر المسودة لآل تيمية ص٢٤٧، ٢٤٨. الفرقة الثالثة: وهي ترى أنها تفيد العلم إذا احتف بالقرائن، كحديث الصحيحين لتلقي الأمة لها بالقبول، وهو رأي ابن الصلاح وجماعة من متأخري الشافعية الإسفرائيين:

أبي إسحاق وأبي حامد، والقاضي أبو الطيب، وأبي إسحاق الشيرازي، والسرخسي من الأحناف، والقاضي عبدالوهاب من المالكية، وأبي يعلى، وأبي الخطاب، وابن الزغواني من الحنابلة، وأكثر أهل العلم من الأشاعرة كابن فورك، ومذهب السلف عامة أنهم يقطعون بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول. وقد نقلت هذا الخلاف بين العلماء فيما يتعلق بخبر الآحاد للأمانة العلمية. فإذا وضعنا في الاعتبار أن أغلب الأحكام والعقائد جاءت بخبر الواحد وإن من يصفون أنفسهم بالمجددين يفرقون في العمل بين الحديث المتواتر والحديث الآحاد بقصد التخلص من الأحكام التي يعتبرونها من العوائق-على حد زعمهم- في طريق نهضتهم ومحاذاتهم للتوجهات الغربية والتنصل من الالتزام بها يكون ترك كل أخبار الآحاد بالجملة من الفتن المعاصرة.

رد خبر الآحاد من الخطر العظيم والبلاء الفادح والجهل المركب:

لذلك كان من الخطر العظيم والبلاء الفادح والجهل المركب، عدم الأخذ بأحاديث الآحاد، والتفرقة بينها عند العمل في الأمور التعبدية والعقائدية والأحكام وبين المتواتر رغم الأدلة المتكاثرة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وسلف الأمة التي تدل دلالة قاطعة على وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في كل أبواب الشريعة-سواء أكان في الأمور العقائدية أم الأمور العملية- وإن التفريق بينهما بدعة أول من أحدثها أهل الأهواء من القدرية والجهمية والمعتزلة والمتكلمين ومن سار على دربهم ليردوا الأدلة التي تنقد بدعهم.

ولم يزل الصحابة والتابعون وأهل السنة والحديث يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الاعتقاد والأحكام من غير تفريق بينهما ولم ينقل عن أحد منهم أنه جوّز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته، بل لا يعرف خلاف في هذه المسألة عن أحد ممن يعتد به من أهل العلم.

قال الإمام الشافعي في كتابه الرسالة: "ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديمًا وحديثًا على تصديق خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لا يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جاز لي، ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفت من أن ذلك موجود على كلهم". انتهى.

وقال الإمام ابن عبد البر-وهو يتكلم عن خبر الواحد وموقف العلماء منه: وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويعادي ويوالي عليها ويجعلها شرعًا ودينًا في معتقده، على ذلك جميع أهل السنة. انتهى من كتابه التمهيد.

وقال الإمام ابن القيم: "وأما المقام الثامن: وهو انعقاد الإجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه الأحاديث وإثبات صفات الرب تعالى بها، فهذا لا يشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول، فإن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين رووا هذه الأحاديث وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول ولم ينكرها أحد منهم على من رواها، ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم إلى آخرهم. (مختصر الصواعق المرسلة).

كما أن القول بأن أحاديث الآحاد لا تثبت به عقيدة، هو قول في حد ذاته عقيدة فما هو الدليل على صحته؟ فإما أن يأتوا بالدليل القاطع المتواتر على صحة هذا القول، وإلا فهم متناقضون.

وبناء على ذلك فإن رد خبر الآحاد في العقائد منهج بدعيّ يخالف إجماع أهل السنة والجماعة وما عليه عامة أهل الإسلام على قبول حديث الآحاد في أحكام الحلال والحرام وقبوله في العقائد كذلك، ومسألة الظنية والقطعية لا تنافي وجوب تصديقه والعمل به. وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد يؤدى إلى تعطيل أكثر السنة النبوية فإن أكثرها آحاد، وهذا مصادم لقوله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر: ٧).

وقد قال الإمام أبو حاتم ابن حبان المتوفى: ٣٥٤ هجرية في مقدمة صحيحه: فأما الأخبار فإنها كلها أخبار آحاد.. إلى أن قال: "وإن من تنكب عن قبول أخبار الآحاد فقد عمد إلى ترك السنن كلها، لعدم وجود السنن إلا من

روايـة الآحـاد". (انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان).

ومذهب الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان يقبلون الحديث إذا صح سنده.

المقصود بالأحاديث قطعية الثبوت:

أما المقصود بالأحاديث قطعية الثبوت فهي الأحاديث المقطوع بصحة نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي أربعة أنواع:

النوع الأول: الأحاديث المتواترة.

النوع الثاني: ما أخرجه البخاري ومسلم وتلقته الأمة بالقبول.

النوع الثالث: ما أجمعت الأمة على تلقيه بالقبول ولو لم يكن في الصحيحين؛ لأن الأمة الإسلامية معصومة من الخطأ في إجماعها.

النوع الرابع: الخبر المستفيض من وجوه كثيرة لا مطعن فيه وعليه.

فالزعم بأن الآحاد مطلقًا ليس قطعيًا غير صحيح، بل الآحاد الذي تلقته الأمة بالقبول، أو استفاض وجاء من وجوه كثيرة لم تبلغ التواتر هو قطعي الثبوت.

أما عن تقسيم الأحاديث إلى متواترة وآحاد فلا يعني التشكيك في الآحاد، وأن حصول العلم بالحديث المتواتر لا ينافي الاعتماد على الآحاد وقبوله، وقد أجمع أهل السنة على قبول الآحاد في العقائد حتى وإن كان يفيد الظن، ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع من المعتزلة ومن نحا نحوهم.

والإمام الطبري رحمه الله يرى أن الآحاد لا يفيد العلم اليقيني، لكن يجب تصديقه والعمل به، ولو كان في العقيدة، وقد سار على ذلك في كتبه رحمه الله. قال رحمه الله: "فإن كان الخبر الوارد بذلك خبرًا تقوم به الحجة مقام المشاهدة والسماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته في الشهادة عليه بأن ذلك جاء به الخبر، نحو شهادته على حقيقة ما عاين وسمع. وإن كان الخبر الوارد خبرًا لا يقطع مجيئه العذر ولا يزيل الشك؛ غير أن ناقله من أهل الصدق والعدالة؛ وجب على سامعه تصديقه في خبره، في الشهادة عليه بأن ما أخبره به كما أخبره، كقولنا في أخبار الآحاد العدول، وقد بينا هذا في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته". انتهى من: التبصير في معالم الدين (ص١٣٩).

أما ابن تيمية رحمه الله فإنه يرى أن حديث الآحاد إذا احتفت به القرائن أوجب العلم. وهو يحتج بالآحاد مطلقًا في إثبات الأحكام والعقائد على السواء. قال رحمه الله: "ولهذا كان الصحيح: أن خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفت قرائن تفيد العلم. وعلى هذا؛ فكثير من متون الصحيحين متواتر اللفظ عند أهل العلم بالحديث، وإن لم يعرف غيرهم أنه متواتر؛ ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم علماء الحديث علمًا قطعيًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، تارة بتواتره عندهم، وتارة لتلقي الأمة له بالقبول" (مجموع الفتاوى ١٨/ ٤٠).

والحاصل أن عامة أهل الإسلام على قبول حديث الآحاد في أحكام الحلال والحرام، وجمهورهم -وهو قول أهل السنة والجماعة- على قبوله في العقائد كذلك، وإن مسألة الظنية والقطعية لا تنافي وجوب تصديقه والعمل به، والله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى الشيخ عطية حنفي مؤسس مبنى المركز العام لأنصار السنة مع إخوانه من شيوخ أنصار السنة رحمهم الله جميعًا عن عمر يناهز حوالي ٩٥ سنة ميلادية أو ٩٨ سنة هجرية، وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء للأسرة الكريمة. ونسأل الله أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة، وأن يدخله فسيح جناته، وأن يرزق أهله الصبر والسلوان. لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى.

خُطورة الغِياب عن إصلاح الشَّباب

إعداد

د. عماد محمد علي عيسى

المفتش بوزارة الأوقاف

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام على الرحمة المُهداة، والنعمة المُسداة، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، واهتدى بهداه، وبعدُ:

فهذه مقالاتٌ أسُوقُها بطبْعٍ مُنْقاد، وسِياقٍ مُعْتَاد، أستَصْحبُ فيها إظْهارَ الْحجَّة، وإيضاحَ المَحجَّة، جمعْتُ فيها العبارةَ الرائقَة مع الإشارة الفائقة، كي ترُوحَ الْخاطر المُتْعُوب، وتنفي وتطْرُد الْهمَّ المَجْلوب، وأرْجو أنْ يكون المَعْنى فيها كافيًا، ولِلغرض المُتأمَل شافيًا، وجعلتُ فيها تذكيرًا بالنعم، وإنذارًا بالنِّقم، كيْ تُهذِّب القرائح، وترهب من القبائح، ولأجل أنْ يستفيد المُقْتصد منها التدبُّر وحُسْن التَّدْبير، ويُفيد المُقصِّر الإعْذار والإنْذار والتَّحذير، وقد كتبْته بحكم الحاجة والاضطرار لا بحكم الترفه والاختيار، ولعل الله تعالى يَمُنّ علينا فيكون من منْتقى الأخْبار، وخيار الْخيار، المُبلِّغ إلى دار القرار، ونُزول منازل الأبْرار، وأرجُو أن يعلم أهل الدِّراية قدْرَه، وأن يوفيه أهل التربية حقَّه، حتى نصل بشبابنا إلى صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم على أيديهم وبهم، والله المُستعان وعليه التّكلان.

ولقدْ جال- قُبَيْل كتابة المقال- بخاطري حالُ شبابنا، وطاف بذهْني أمْرُ شبيبَتنا وأبنائنا؛ حتى اخْتمر واستقرَّ فيه؛ إذْ رأيتُهم قد قال من شاءَ منهم ما شاء، وخبَطوا خبْط عشْواء، وركبُوا متْن عمْيَاء، مع أنَّ فُرصة الشَّباب فُرصةٌ لا عوض منها، وغنيمةٌ لا عدْل لها، بَيْدَ أنْه صدَق النَّبيُّ صلَّى الله علَيْه وَسَلَّمَ حين، قَالَ: " نعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ". رواه البخاري (٦٤١٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا. وقال الشاعر:

آلةُ العَيْشِ صحةٌ وشبابٌ
فإذا وَلّيا عن المَرْء وَلّى

خُطورةُ قضيَة الشّباب:

فترة الشباب فترة الْخُصُوبة في الْخَيْر والشَّرّ، وأيامُ الفُتُوّة والقُوّة، وشُعْلةُ الْحماس

عند أكثر الناس، وأزمنة الجد والنشاط بلا لبس ولا اختلاط، وقلما ترى مكرمة في بني آدم إلا ومصيرها إليها، ونادرًا ما تجد منقبة إلا وهي مقصورة عليها، فمرحلة الشباب مرحلة خطيرة في كل أمة، وادراجها موضع الاهتمام نقطة تحول في تواريخ الأمم، ومن أهم الأسباب المنجية من تقوض بنيان الأمة، والمانعة من نزول الملمة، محاولة إنقاذ الشباب، والأخذ بأيديهم إلى الله تعالى، وتربيتهم على محبة الدين والتفاني في خدمته، والسهر من أجل رفع رايته.

السؤال عن نعمة الشباب:

نعمة الشباب من النعم الغالية التي تلقي إلى صاحبها الأقاليد، حتى يحقق المجد التليد والتي تمر كطيف الخيال وتأتي بقدر، وكثير من الناس يغفل عنها فالعاقل من سبق إلى نيل المعالي وتحقيق الأماني وابتدر، فيجتهد ويجد والناس نيام، ويستقي من ماء الشباب ويرده قبل نزول الحمام، وفي أزمنة الشباب يتقدم المرء ويحقق ما صعب وأشكل، ويقدم على ما يحجم عنه غيره وينكل.

يكون عنها السؤال والجواب، ويقع عليها الجزاء والحساب، وقد جاء السؤال عن العمر في حديثين:

الأول: عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». رواه الترمذي(٢٤١٧) وقال: حسن صحيح. اهـ.

الثاني: عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم» رواه الترمذي: (٢٤١٦) وقال: حديث غريب. اهـ.

ففي الحديثين جاءت العبارة التي فيها السؤال عن العمر كله وذلك في قوله: "عن عمره فيم أفناه"، ثم جاء السؤال عن مدة الشباب في الحديث الثاني "وعن شبابه فيم أبلاه".

وهنا سر بلاغي من بلاغة كلام صاحب النبوة صلى الله عليه وسلم؛ فإن كلمة "أبلاه" وإن كان فيها معنى الامتحان الا أنها تستعمل في الخير.

قال القتيبي: يقال من الخير أبليته أبليه إبلاء. ومن الشر بلوته أبلوه بلاء. والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معا من غير فرق بين فعليهما. ومنه قوله تعالى «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» وإنما مشى قيصر شكرا لاندفاع فارس عنه.

ومنه الحديث «من أبلي فذكر فقد شكر» الإبلاء: الإنعام والإحسان، يقال بلوت الرجل وأبليت عنده بلاء حسنا. والابتلاء في الأصل الاختبار والامتحان. يقال بلوته وأبليته وابتليته.

وَمِنْهُ حَدِيثُ كِعْبِ بْنِ مَالِك «مَا عَلِمت أَحَدًا أَبْلاهُ اللهُ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي» اهـ النهاية:١/١٥٥.

هذه نعمة الشَّباب التي أَلْحَفَتْ صاحبها رِدَاءَها، وسقَتْه صافيها وأَنْداءَها.

حقُّ الشَّباب علينا:

من حَقِّ هؤلاء الشَّباب على الدعاة والعلماء الدندنة بقضية إصلاحهم، والحيلولة بينهم وبين هدم ركن الشباب منهم، وعناية أهل العلم بهذه الطائفة التي هي سلاح الأمة ودرعها في المُهِمَّات، واهتمام المُصلحين بهذا الصَّدد اهتمامًا يؤدُّون به واجبَ الكفاية الذي صار فرضًا لازمًا، وواجبًا عينيًّا في زماننا، ولعلَّه يَرفع عنهم الحرج في أيامنا، وينفي عنهم الإثم والجناح في قادم أزماننا، وباقي عهْدنا، وقابل أيَامنا، لأن هذه الفئة يُغرَّر بها كثيرًا، فهم لا يُمَيِّزون كما يُميِّز الشُّيوخ والكبار، الذين هم أشْجار الوَقار، ومعادن الاخْتبار، وصدَقَ القائل:

إنَّ الأمورَ إذا الأحْداثُ دبَّرها
دونَ الشُّيُوخ ترى في سيْرِها الْخَللا

وقديمًا قالوا: رأي الشيخ الكبير خيرٌ من مَشْهد الغُلام الصَّغير، وهذا حَقٌّ فإن كبير السن قد عاش الأزمنة، وخالط الناس في الأوْدية، وعرف تاريخ وأيام الناس فهم كمن عاش الدَّهر وجرَّب الأمُورَ بأسْرها، وأيضًا فإنَّ أكثر الشباب تستخفُّهم الأحْداث، وتستهويهم الوقائع وإنْ ذهبت بهم إلى الأجْدَاث (أي: القبور) فإذا سمعوا قولًا خلَّابًا، وأسلوبًا برَّاقًا، ولو كان يحمل في طيَّاته فكرةً زائفة، وقولَةً عن الْحقِّ مُتجانفة، ودعوة هَوْجاء؛ قبلوها واحْتَمَلُوها، ودعَوْا إليها وأذاعُوها، وبثُّوها في كلِّ مكان ونشروها.

إنَّ اشتغال أهل العلم بإصلاح حال الشباب مسلكٌ صحيح لأنه يأتي البيوت من أبوابها، ويردُّ الأمُورَ إلى صوابها، ويرجعُ بالأشْياء إلى أرْبابها، وليُعْلم أنَّ سكوتَ المُصْلحين من الطوائف المُذكورة سالفًا عن إنكار المُنْكر زيادةٌ في تلك الوَرْطة، وإفْحاشٌ في هذه الغَلطة، فلا تكن مصدُودًا عن الإصلاح قدْرَ استطاعتك، ولا مكدُودًا عن الْجدِّ فيه قد مُكْنتك، وإذا رأيتَ من يسعى في الإصْلاح ويرنُو إلى المعالي، فلا تتأخَّر عنهم ولا تكن المرءَ المُتكاسل أو الرجُلَ المُتواني، بل إمَّا أن تطيرَ معهم بجناحَيْن أو تسعى بجناح، أو تعمل على إكمال قوة أو مساعدة رياح.

حالُ الشَّباب في هذا الزْمان:

زمنُ الشَّباب هو وقتُ الرِّيادة، وأيَام السَّعادة، ومعْدن الإفَادة، وينبوع المعْرفة، فيه تتحَقَّق المَقاصد، وتجتمِع الشَّوارد، ويصلُ المرْء إلى المَراتب الرفيعة، ويحقَّق بالعناية به الأمُور الصَّعبة المنيعة، إذ الهِمَة فتيَة، والروح وثَابة عليَة، وبالشباب يصل المَرْء إلى ما يريد من الأغراض، ويوفَّق إذا صدقت النيَة إلى بُلوغ الأعْراض، والأبدان سليمة- بحفظ الله تعالى- من الأمراض.

ومَنْ عاصر ما تقدَّم من العُصُور، وباشَرَ تلك الأحداثَ القديمة، وهذه الأحوال السليمة؛ علم أنه قد تغيَّر جيلُ الشباب في أيَامنا وزماننا الْحَالي، وتحوَّلت الأجيال عما كانت

عليه في الزمن الحالي، فبعدما كان الشباب في الأجيال الأولى كالطود الشامخ ديانة وفطرة، أصبح الواحد منهم اليوم كريشة تفيؤها الريح يمينًا وشمالًا، وتتقلب بها الأيامُ حالًا فحالًا، إنَّ حالَ كثير من شبابنا قد عاد شيئًا فريًا، بعدما كان غضًا طريًا، فقد خبتْ عزائمهم، وغاضتْ قواهم، وصار حالُ كثيرين منهم كأنهم أرواحٌ خامدة، وجثثٌ هامدةٌ، وهاماتٌ جامدةٌ، قد فترتْ أذهانهم، وخمدتْ قرائحهم، وجمدتْ قلوبهم، وهرمتْ أخلاقهم سراعًا، وأدركَ آدابهم الانحلال والوهن، وتصدّعَ صرحُ بُنيانهم حتى أصبحَ ريبةً في قلوبهم، واختلَ نظامُهم وانحلّتْ عُراهم، وانتشر فيهم العصيانُ والفُسوق، والجفاء والعُقوق، ومحبّةُ الخمول، وإيثار الفضول، فضرب بينهم وبين الهداية بسور ليس له بابٌ بل له بأسداد، وصارتْ شُقّةٌ بعيدةٌ بينهم وبين المقاربة والسَّداد، هذا ما جرى، وانتشر في شبابنا بين الورى.

وصدقَ القائل:

ذهبَ النّاسُ فاستقلّوا وصرْنا
خلفًا في أراذلِ النّسناس
في أُناسٍ نعدُّهُمْ من عديدٍ
فإذا فُتّشوا فليْسُوا بناسِ

الواجبُ على الشّبابِ:

لو نظر شبابُنا إلى حال أهل الكهف لعلموا أنهم ضيّعوا عُمرًا بعد عُمر، وأنهم أفْنوا دهرًا بعد دهْر، إذْ إنّ شبابَ أهلِ الكهْف قد ضرب الله تعالى بهم المثل فقال: "إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا" (الكهف: ١٠-١٥).

فلا بُدّ أن يكون شبابُنا - كشباب أهل الكهْف - كماةَ أنْجادًا، وحُماةَ أمْجادًا، وأن يكونُوا كاللؤلؤة إلى جنْب الدُّرة، وأن يكونوا في أهل الإسلام كالشامة في الجبين والغُرّة، حتى ينزلوا بالخيْر كلَّ واد، ويعرفوا به في كل ناد، وأن يسلكوا أفضل الطّرائق، ويغوصُون على تحقيق الحقائق، بهمم فتيّة، ونفوس أبيّة، بطبيعة منقادة، وقريحةٍ وقّادة، وأن يشعروا بعزّة الإسلام الطّماحة إلى العلْياء لبُلوغ السّماء، وأن يشمّر الواحدُ منهم عن السّاق، وأن يجدّ ويجتهد في إصلاح نفْسه ما أطاق، حتى يكون شعارهم:

فحيّهلا بالمكْرُمات وبالعُلا
وحيّهلا بالفضْل والسُّؤْدُدِ المحْض

وأنْ يكون ذلك في أيسر مدة حتى يُصبحوا للأمّة عُمدةً وعُدّة، قد فتحتْ سماءُ يُسْرهم فصارتْ أبوابًا، وزُحْزحتْ جبالُ عُسْرهم فكانتْ سرابًا، وأن لا يطول بهم الأمَل، ولا يظنّوا طول الأجَل.

يُؤمّل دُنيا لتبْقى له
فوافَى المنيّة دُون الأمَل
حثيثًا يُروّي أُصولَ الفسيل
فعاشَ الفسيلُ وماتَ الرّجُل

ومن سنة الله الجارية في بني آدم أن الموْت يأتي بغْتة، والنفس تذهبُ فلْتة، وأكثر الموْت إنّما يكون في الشباب، وكم من شباب نزلتْ بهم حوادثُ الزمان فاجتالتهم، وهجمتْ عليهم المنايا فأخذتهم بغتةً واغتالتهم، ومن شعْر البخاري:

اغْتنمْ في الفراغِ فضلَ رُكُوعٍ
فعسى أنْ يكونَ موْتُك بغْتهْ
كمْ صحيحٍ رأيْتَ منْ غيْر سقمٍ
ذهبتْ نفْسُهُ الصّحيحةُ فلْتهْ

قال ابن حجر: وكانَ من العجائب أنه هُو وقع لهُ ذلك أو قريبا منْه. اهـ.

وبهذا يصلح الجميع من جهة الفعْل ليس فقط من جهة الكلام، وينتظمون في سلْك بديع الانتظام.

والحمد لله رب العالمين.

فضل يوم عرفة ويوم النحر

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

فإن الليالي والأيام، والشهور والأعوام، هي محط الآجال، ومقادير الأعمال، فاضل الله بينها، فجعل منها: مواسم للخيرات، وأزمنة للطاعات، تزداد فيها الحسنات، وتكفر فيها السيئات، وترفع فيها الدرجات، وتجاب فيها الدعوات، ومن تلك الأزمنة الجليلة القدر العظيمة الأجر، يوم عرفة دُرّة الأيام والتي تضافرت النصوص من الكتاب والسنة على فضله ومنزلته.

يوم عرفة

سبب التسمية

للعلماء في سبب التسمية بهذا الاسم أقوالٌ؛ فمنها: أن هذه البقعة سُمِّيتْ بعرفات؛ لأنَّ آدمَ وحوَّاءَ عليهما السلام تعارفا بها بعد نزولهما منَ الجنة، وقيل: لأنَّ جبريل عليه السلام لمَّا علَّم إبراهيمَ عليه السلام المناسكَ وأراه المشاهدَ، قال له: أعَرفْتَ أعَرفْتَ؟ قال إبراهيم: عَرفْتُ عَرفْتُ. وقيل: التسمية مأخوذة منَ العَرْف وهو الطِّيبُ؛ لأنَّها بُقعةٌ مقدَّسة معظَّمة، كأنها عُرِّفتْ أي طُيِّبتْ. وقيل: لتعرُّف العباد فيها إلى الله تعالى بالعبادات والأدعية. المفردات للراغب ص: ٥٦١، تفسير القرطبي ٢/٤١٥، القاموس المحيط ١/٨٣٦

منزلته وفضله

هذ اليوم العظيم المبارك له مزية وفضل على غيره من الأيام ومن أوجه تفضيله وتشريفه، ما يلي:

(١) أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة.

عن عُمرَ بن الخطَّاب رَضيَ الله عَنهُ: «أنَّ رَجُلًا، منَ اليَهُود قالَ له: يا أميرَ المُؤْمنينَ، آيةٌ في كتابكُمْ تَقرَؤُونَها، لو علَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُود نَزَلَتْ، لاتَّخَذْنَا ذلكَ اليومَ عيدًا. قال: أيُّ آيةٍ؟ قال: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة: ٣) قال عُمرُ: قدْ عَرفْنا ذلكَ اليَومَ، والمَكانَ الذي نَزَلتْ فيه على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وهو قائمٌ بعَرفَةَ يَومَ جُمُعَةٍ». أخرجه البخاري ٤٥ واللفظ له، ومسلم

٣٠١٧ باختلاف يسير.

وإكمال الدين في ذلك اليوم حصل؛ لأن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام من قبل، فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها، ولأن الله أعاد الحج على قواعد إبراهيم عليه السلام، ونفى الشرك وأهله، فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد. وأما إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة، فلا تتم النعمة بدونها، كما قال الله لنبيه: «لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ» (الفتح: ٢). لطائف المعارف ص ٤٨٦.

(٢) أنه يوم عيد:

فعن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يومُ عرفةَ ويومُ النَّحر وأيامُ التَّشريق عيدنا أهلَ الإسلام، وهيَ أيامُ أكلٍ وشرب». صحيح الترمذي ٧٧٣.

(٣) أن صيامه يكفر سنتين:

ففي "صحيح مسلم" عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صيامُ يوم عرفةَ، إنِّي أحتسبُ على الله أنْ يُكفِّرَ السنةَ التي قبلَه، والسنةَ التي بعدَهُ...». ح ١١٦٢ وصومه إنما شرع لغير الحاج، أما الحاج فلا يجوز له ذلك.

ويتأكد حفظ الجوارح من المحرمات في هذا اليوم كما في حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن يوم عرفة: «إن هذا اليوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه؛ غفر له». المسند: ١/٣٢٩ وصححه أحمد شاكر. ولا يخفى أن حفظ الجوارح فيه حفظ لصيام الصائم، وحج الحاج، فاجتمعت عدة أسباب مُعينة على الطاعة وترك المعصية.

ما معنى أن صوم عرفة يكفر سنتين؟

قال النَّووي رحمه الله المجموع ٦/٣٨١: "واختلفَ العلماءُ في معنى تكفير السَّنة الباقيةِ المُستقبلة؛ فقال بعضُهم: معناه إذا ارتكب فيها معصية، جعل الله تعالى صوم يوم عرفة الماضي كفَّارةً لها، كما جعله مُكفرًا لما في السنة الماضية، وقال بعضُهم: معناه أنَّ الله تعالى يَعصمُه في السَّنة المُستقبلة عن ارتكاب ما يَحتاجُ فيه إلى كفَّارة". المجموع ٦/٣٨١

(٤) أنه يوم الميثاق العظيم:

لأن الله تعالى أخذ فيه ميثاق التوحيد على ذرية آدم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخذَ اللهُ الميثاقَ من ظهْرِ آدمَ بنُعمانَ- يعني عرفةَ- فأخرجَ من صلبِه كلَّ ذرِّيَّةٍ ذرأها، فنثرهُم بين يديه كالذَّرِّ، ثمَّ كلَّمهُم قبلًا قال: ألستُ بربِّكُم قالوا بلى شهِدنا أنْ تقولوا يومَ القيامةِ إنَّا كنَّا عنْ هذا غافلينَ أوْ تقولوا إنَّما أشْركَ آباؤُنا منْ قبلُ وكنَّا ذُرِّيَّةً منْ بعْدِهمْ أفتُهْلكنا بما فعل المُبطلونَ». رواه أحمد:٢٤٥٥ وصححه الألباني في المشكاة

فما أعظمه من يوم! وأكرم به وأنعم من ميثاق!

(٥) أنه يوم مغفرة الذنوب، والعتق من النار

عن عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم أكثر من أن يُعتقَ اللهُ فيه عبدًا من النَّار، من يوم عرفةَ، وإنَّه ليدنو، ثُمَّ يُباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أرادَ هـؤلاء؟». صحيح مسلم: ١٣٤٨.

وفي الحديث إثباتُ صفة المُباهاة وهي صفة فعليَّة ثابتة لله عزَّ وجلَّ بالسُّنة النبويَّة.

قال الفضيل بن عياض: "ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فلا صفة أبلغ مما وصف الله عزَّ وجلَّ به نفسه، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع، كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يباهي، وكما شاء أن يطلع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم أن كيف وكيف وإذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب ينزل عن مكانه، فقل له أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء". درء تعارض العقل والنقل ٢/٢٤.

ومعنى المباهاة في اللغة المفاخرة. قال

الحميدي: "المباهاة: المفاخرة، وهي من الله ثناءٌ وتفضيل". تفسير غريب ما في الصحيحين ١/٤١٩.

فما أكرمكم على الله حجاج بيت الله الحرام، وما أسعدكم بمباهاة الله بكم، ومغفرة ربكم لكم.

قال ابن عبد البر: "وهو يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب، إلا بعد التوبة والغفران، والله أعلم". التمهيد ١/١٢٠.

وفي الحديث أيضا: "إثباتُ صفة الدُنوّ لله سُبحانه وتعالى، وهو دُنُوٌّ يليقُ بجلاله وعظمته، وخاص بعباده المتقربين إليه بطاعته، ووقوفهم بعرفة مُلبّين لدعوته".

وقال ابن القيم- رحمه الله-: "فلله كم به من ذنب مغفور، وعثرة مقالة، وزلة معفو عنها، وحاجة مقضية، وكربة مفروجة، وبلية مرفوعة، ونعمة متجددة، وسعادة مكتسبة، وشقاوة ممحوة، كيف وهو الجبل المخصوص بذلك الجمع الأعظم، والوفد الأكرم، الذين جاؤوا من كل فج عميق، وقوفا لربهم مستكينين لعظمته، خاشعين لعزته، شعثا غبرًا، حاسرين عن رؤوسهم، يستقيلونه عثراتهم، ويسألونه حاجاتهم، فيدنو منهم ثم يباهي بهم الملائكة، فلله ذاك الجبل، وما ينزل عليه من الرحمة والتجاوز عن الذنوب العظام". مفتاح دار السعادة: ١/٢٢٠.

(٦) أنه يوم ذكر ودعاء.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». صحيح الترمذي ح٢٨٣٧

قال الباجي رحمه الله: "قوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الدعاء يوم عرفة»، يعني: أكثر الذكر بركةً، وأعظمهُ ثوابًا، وأقربهُ إجابةً، ويحتمل أن يريد به الحاج خاصة؛ لأن معنى دعاء يوم عرفة في حقه يصح، وبه يختص، وإن وصف اليوم في الجملة بيوم عرفة فإنه يوصف بفعل الحاج فيه، والله أعلم". شرح الموطأ ١/٣٥٨.

قال الخطابي: "معناه: أكثر ما أفتتح به دعائي وأقدمه أمامه من ثنائي على الله عز وجل، وذلك أن الداعي يفتتح دعاءه بالثناء على الله سبحانه وتعالى، ويقدمه أمام مسألته، فسمي الثناء دعاء".

هل فضل يوم عرفة يشمل غير الحاج؟

لقد اختلف أهل العلم هل هذا الفضل للدعاء يوم عرفة خاص بمن كان في عرفة أم يشمل باقي البقاع؟

والراجح أنه عام، وأن الفضل لليوم، ولا شك أن من كان على عرفة فقد جمع بين فضل المكان وفضل الزمان.

وهذا يدل على أن فضل يوم عرفة ليس خاصاً بحجاج بيت الله فقط.

إلى كل من فاته الحج:

قال ابن رجب- رحمه الله-: "من فاتهُ في هذا العَام القيامُ بعرفة؛ فليقُم لله بحقه الذي عرفه! من عجز عن المبيت بمُزدلفة؛ فليبت عزمهُ على طاعة الله وقد قرّبهُ وأزلفهُ! من لم يَقدر على نحر هديه بمنىً؛ فليذبح هواهُ هُنا وقد بلغَ المُنى!

من لم يصل إلى البيت لأنَّهُ منهُ بعيدٌ؛ فليقصد ربّ البيت؛ فإنه أقربُ إلى من دعاهُ ورجاهُ من حبل الوريد!

نفحتْ في هذه الأيّام نفحةُ من نفحات الأُنس من رياض القُدس على كُلّ قلب أجابَ إلى ما دُعيَ! يا هممَ العارفين بغير الله لا تقنعي! يا عزائمَ النَّاسكين لجميع أنساك السَّالكين اجمعي.! لحبّ مولاك أفردي، وبين خوفه ورجائه أقرُني، وبذكره تمتَّعي!

يا أسرار المحبّين بكعبة الحُبّ طوفي واركعي! وبين صفاء الصَّفا ومروة المروة اسعي وأسرعي! وفي عرفات العرفان قفي وتضرَّعي! ثمَّ إلى مُزدلفة الزُّلفى فادفعي! ثمَّ إلى منىً نيل المُنى فارجعي! فإذا قرّبُوا القرابين فقرّبي الأرواح ولا تمنعي!

لقد وضح اليومَ الطّريقُ ولكن قلَّ السَّالكُ على التَّحقيق وكثُر المُدَّعي". لطائفُ المَعارف ٤٩٩.

يوم النحر:

لهذا اليوم فضائل عديدة: فهو يوم الحج

الأكبر، فعن ابنِ عُمَرَ رَضيَ اللّه عنهما قال: وَقَفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يومَ النَّحرِ بينَ الجَمَرات في الحَجَّة التي حَجَّ بهذا، وقال: «هذا يومُ الحَجِّ الأكبَر» صحيح البخاري: ١٧٤٢ قال في "عمدة القاري": "أي يوم النحر هو يوم الحج الأكبر(٨٢/٩).

وهو أفضل أيام العام؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أعظمَ الأيَام عندَ اللّه تبارَكَ وتعالى يومُ النَّحرِ ثمَّ يَومُ القُرِّ». صحيح أبي داود ١٧٦٥.

يومُ القرّ:

هُو اليَومُ الذي يَلي يَوم النَّحْر، وسُمّي بذلك؛ لأنَّ الحَجيجَ يَقرُّونَ فيه بمنًى بعدَما أدَّوْا أعمالَهُمْ.

وهو بذلك- يوم النحر- أفضل من عيد الفطر، ولكونه يجتمع فيه الصلاة والنحر، وهما أفضل من الصلاة والصدقة. لطائف المعارف ص٤٨٢.

وقد اعتُبرت الأعياد في الشعوب والأمم أيام لذة وانطلاق، وتحلل واسراف، ولكن الإسلامَ صَبغ العيدين بصبغة العبادة والخشوع، إلى جانب الفسحة واللهو المباح. وقد شرع في يوم النحر من الأعمال العظيمة كالصلاة، والتكبير، ونحر الهدي، والأضاحي، وبعض من مناسك الحج ما يجعله موسمًا مباركًا للتقرب إلى الله تعالى، وطلب مرضاته، لا كما هو حال الكثير ممن جعله يوم لهو ولعب فحسب، إن لم يجعله يوم أشر وبطر، والعياذ بالله.

أيام التشريق:

وهي الأيام الثلاثة التالية ليوم النحر، وسميت بذلك لأن الناس كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحي أي: يقددونها وينشرونها في الشمس.

وهي التي عناها الله تعالى بقوله: «واذْكُروا اللّه في أيَام مَعْدُودات» البقرة: ٢٠٣ كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. فتح الباري ٥٣٠/٢.

وذكر القرطبي أنه لا خلاف في كونها أيام التشريق القرطبي ٣/٣.

وهي أيام عيد للمسلمين؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يومُ عرفةَ ويومُ النَّحر وأيَامُ التَّشريق عيدنا أهلَ الإسلام، وَهيَ أيَامُ أكلِ وشربِ». صحيح الترمذي ٧٧٣.

وقد نُهيَ عن صيامها، وهي واقعة بعد العشر الفاضلة، فتشرف بالمجاورة أيضًا، وتشترك معها بوقوع بعض أعمال الحج فيها، ويدخل فيها يوم النحر، فيعظم شرفها وفضلها بذلك كله. فتح الباري ٥٣٣/٢.

كما أن ثانيها، وهو يوم القر، وهو الحادي عشر، أفضل الأيام بعد يوم النحر، وهذه الأيام الأربعة هي أيام نحر الهدي والأضاحي على الراجح من أقوال أهل العلم؛ تعظيمًا لله تعالى، وهذا مما يزيدها فضلًا، وهذه الأيام من أيام العبادة والذكر والفرح، قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: «أيامُ التشريق أيامُ أكْلِ، وشُرْبِ، وذكْرِ الله». صحيح الجامع: ٢٦٨٩.

"فهي أيام إظهار الفرح والسرور بنعم الله العظيمة، وفي الحديث إشارة إلى الاستعانة بالأكل والشرب على ذكر الله، وهذا من شكر النعم". لطائف المعارف ص٥٠٤.

وذكر الله المأمور به في الحديث أنواع متعددة منها:

- التكبير فيها عقب الصلوات، وفي كل وقت، مطلقًا ومقيدًا، كما هو ظاهر الآية، وبه يتحقق كونها أيام ذكر لله. نيل الإطار ٣٨٩/٣
- ذكر الله بالتسمية والتكبير عند نحر الهدي والأضاحي.
- ذكره عند الأكل والشرب، وكذا أذكار الأحوال الأخرى.
- التكبير عند رمي الجمار.
- ذكر الله تعالى المطلق.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه التذكرة، وأن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الحج مع القدرة والاستطاعة

قال الله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

(آل عمران ٩٦، ٩٧).

من فضائل الحج

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة. (سنن الترمذي)

أحوال الصحابة مع تكبير العيد

كان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج تكبيرا. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه وممشاه، تلك الأيام جميعًا. وكانت ميمونة تكبر يوم النحر، وكان النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان وعمر ابن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد. (صحيح البخاري).

دعاء يوم عرفة

عن طلحة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له" (سنن الترمذي).

فضل المسجد الحرام

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام قال: ثم قلت: ثم أي؟ قال: ثم المسجد الأقصى. قال: قلت كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة فأينما أدركت الصلاة فصل فهو مسجد. (صحيح البخاري).

إعداد : علاء خضر

فضل صيام يوم عرفة

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة" (صحيح مسلم).

آداب للمضحي

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره.

(صحيح مسلم).

فضل العشر الأوائل من شهر ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما العمل في الأيام العشر أفضل من العمل في هذه". قالوا: ولا الجهاد؟ قال: "ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء" (صحيح البخاري).

حكم بيع جلد الأضحية

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من باع جلد أضحيته فلا أضحية له"

(مستدرك الحاكم وحسنه الألبانى).

من سنن العيد

عن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يخرج إلى العيدين ماشيًا ويصلي بغير أذان ولا إقامة، ثم يرجع ماشيًا في طريق آخر" (صحيح الجامع).

عيدكم مبارك

من أحكام العيد

إعداد: **د. متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

أولا: العيد من الشرع:

العيدان: الفطر والأضحى تشريع من الله تعالى، يقعان بعد أداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام، وهما الصيام والحج، يغفر الله فيهما لخلقه ويتغمدهم برحمته وفضله. ولو تأملنا في أركان الإسلام الخمسة، الركن الأعظم وهو الشهادتان ركن النجاة من الكفر إلى الإيمان، وهو ركن لا يدانيه ركن آخر، فيه النجاة من النار ومن عقاب الله تعالى، والفوز في الدارين الدنيا والآخرة.

ركن الزكاة: ركن لا يؤدَّى بجماعية، فمتى تحققت شروط الزكاة في أموال العبد زكاها كل عام. ركن الصلاة: عبادة جماعية متكررة في كل يوم خمس مرات، وصلاة الجمعة تكون أسبوعيًا، وقد جعل الله الجمعة عيد الأسبوع. ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- لما جاء عيد في يوم جمعة-: قد اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه عن الجمعة وانا مجمعون إن شاء الله تعالى (صحيح سنن أبي داود).

ولعظم قدر الصلاة فقد شرعها الله تعالى للاحتفال بالعيدين، فبهجة العيد لا تكون إلا بالصلاة واجتماع الناس فيها. فبقي ركنان يؤديان بصورة جماعية، فشرع العيد بعد أدائهما وذلك لجماعية أدائهما وتكرارهما مرة واحدة كل عام. فعن أنس رضي الله عنه قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان في كل سنة يلعبون فيهما، فقال ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا

نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أبدلكم الله بهما خيرًا منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر (صحيح سنن أبي داود وغيره).

ثانيا: الفرح بالعيد:

الفرح نوعان، فرح محمود، وفرح مذموم أما الفرح المحمود فهو ما أمر الله تعالى به، ولم يأمر الله في كتابه إلا بالفرح في أمور الدين (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس:٥٨). بفضل الله علينا بالقرآن والإسلام وببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حق لنا أن نفرح وقال الله تعالى: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ) (الروم: ٤- ٥)، وهناك الفرح الفطري لنعم الله ورزقه (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (آل عمران: ١٧٠).

أما الفرح المذموم، فهو فرح الكبر والخيلاء كما قال قوم قارون له (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) (القصص: ٧٦)، وقال الله تعالى: (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) (غافر:٧٥).

إن سرورهم بالدنيا وزينتها قد أنساهم الآخرة وقال الله تعالى: (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) (الأنعام: ٤٤).

ثالثا: حكم صلاة العيد:

اختلف أهل العلم في حكم صلاة العيد على ثلاثة أقوال: القول الأول: أن صلاة العيد فرض على الأعيان، وهو قول الحنفية وقول للشافعي ورواية عن أحمد واليه ذهب بعض المالكية، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، ولهم أدلة منها:

١- قوله تعالى: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» (الكوثر: ٣)، والأمر يقتضي الوجوب.

٢- مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على أدائها، فلم يتركها صلى الله عليه وسلم منذ أن شُرعت، وكذلك فعل الخلفاء ومن بعدهم.

٣- حديث أم عطية رضي الله عنها: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: لتلبسها أختها من جلبابها (متفق عليه)؛ في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الجميع بصلاتها والخروج إليها.

٤- أن صلاة العيد إذا اجتمعت مع صلاة الجمعة في يوم واحد، سقط وجوب الجمعة، وما ليس بواجب لا يُسقط إلا بالواجب (انظر بدائع الصنائع ١/٢٧٥، حاشية الدسوقي ١/٣٩٦، مجموع الفتاوى ٢٤/١٨٢-١٨٣، السيل الجرار ١/١٩٢، الموسوعة الكويتية ٣١/١١٤).

القول الثاني: أن صلاة العيد فرض كفاية، إذا صلاها البعض سقط وجوبها عن الباقين، وهذا مذهب الحنابلة وبعض الشافعية، وأدلتهم على الوجوب هي أدلة القائلين بأنها فرض على الأعيان، لكنهم قالوا إنها ليست واجبة على الأعيان لأنه لا يشرع لها الأذان، لذا لم تجب على الأعيان، كصلاة الجنازة، ولأن الاستماع بخطبتها ليس بواجب كخطبة الجمعة (انظر المغني ٢/٢٧٢-٢٧٣).

القول الثالث: أن صلاة العيد سنة مؤكدة؛ وهذا مذهب المالكية والشافعية ومن أدلتهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله الأعرابي عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات كتبهن الله في اليوم والليلة، فقال: هل على غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع.... (متفق

عليه)؛ ولأنها صلاة ذات ركوع وسجود لم يشرع لها أذان، فلم تجب ابتداء بالشرع، كصلاة الاستسقاء والكسوف.

قال ابن قدامة عن حديث الأعرابي: فأما حديث الأعرابي فلا حجة لهم فيه لأن الأعراب لا تلزمهم الجمعة لعدم الاستيطان، فالعيد أولى.." وصرح بوجوب الخمس وخصها بالذكر لتأكيدها ووجوبها على الأعيان، ووجوبها على الدوام، وتكررها في كل يوم وليلة، وغيرها يجب نادرا ولعارض (انظر المغنى ٢/٢٧٢-٢٧٣).

وأرى أن الراجح -والله أعلم- أن صلاة العيد واجبة وهي لا تقل عن الوجوب الكفائي، وأدلة من ذهب إلى وجوبها على الأعيان قوية وترجح ذلك، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بخروج النساء والحيض وذوات الخدور منهن، وهن لم يؤمرن بصلاة الجمعة، ولأن الأصل أن المرأة صلاتها في بيتها.

رابعا: صلاة العيد في البيت:

١- في ظل الظروف العادية وليس في وقت الأزمات: من ذهب إلى وجوبها العيني، ذهب إلى أنها تقضى لمن فاتته ككل الصلوات الواجبة عند الجمهور. ومن ذهب إلى وجوبها على الكفاية أو أنها مستحبة، يرى أن قضاءها لمن فاتته مع الناس على الاستحباب وذهب الشافعية إلى جواز قضائها سواء للمنفرد أو مع الناس- ولعل ذلك هو الراجح- ودليل ذلك ما ثبت عن أنس رضي الله عنه، فقد بوب البخاري باب: إذا فاته العيد يصلي ركعتين، وكذلك النساء، ومن كان في البيوت والقرى؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: هذا عيدنا أهل الإسلام، وأمر أنس بن مالك مولاهم ابن أبي عتبة بالزاوية (مكان بناحية البصرة) فجمع أهله وبنيه وصلى كصلاة أهل المصر وتكبيرهم، وقال عكرمة: أهل السواد (سكان القرى والأراضي الزراعية) يجتمعون في العيد يصلون ركعتين كما يصنع الإمام. وقال عطاء: إذا فاته العيد صلى ركعتين.

قال الحافظ ابن حجر عن تبويب البخاري: في هذه الترجمة حكمان: مشروعية استدراك صلاة العيد إذا فاتت مع الجماعة سواء أكانت بالاضطرار أو بالاختيار وكونها تقضى ركعتين كأصلها.... وقال الثوري وأحمد إن صلاها وحده صلى أربعًا..... قال ابن مسعود: من فاته العيد مع الإمام فليصل أربعًا أخرجه سعيد بن منصور بإسناد صحيح وكذلك قال إسحاق بذلك.... قال ابن المنير: كأنهم قاسوها على الجمعة، لكن الفرق ظاهر لأن من فاتته الجمعة يعود لفرضه من الظهر بخلاف العيد. ثم أورد آثار عن أنس وعطاء أنها تصلى في البيت ركعتين (انظر فتح الباري ٢/٤٧٢-٤٧٦).

وقضاء صلاة العيد لمن فاتته مع الجماعة عليه أكثر أهل العلم، وهو الراجح سواء للمنفرد أو الجماعة.

٢- في ظل الأوبئة والأزمات: وهذا مبني على ما حررته في النقطة الأولى ورجحت فيه جواز صلاة العيد لمن لم يصلها مع الإمام، وهذا في غير أوقات الأوبئة والأزمات، فمن باب قياس الأولى أنه يجوز صلاتها في البيوت سواء فرادى أو جماعة، كل رب أسرة مع أسرته وهي تصلى في البيوت بذات الكيفية التي يصلي بها مع الإمام.

خامسا: صلاة العيد في المسجد:

صلاتها في الخلاء هي السنة وهي الأفضل، لأنها شعيرة العيد ورفع الصوت بالتكبير واجتماع الناس، وغير ذلك. لكن إن كان هناك عذر كمطر أو برد أو خوف عدوى مرض أو غير ذلك جاز أن تصلى في المسجد، قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨).

والحمد لله رب العالمين.

اتخاذ الوسائط بين العبد وربه

إعداد د. محمد عبد العزيز

«ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ» (الأعراف: ٤٣)، وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الدين، وبعد:

توطئة مهمة:

فمما لا يشك فيه أحد من أهل الإسلام ولا غيرهم أن دين الإسلام ودين الأنبياء هو دين التوحيد الخالص من الشرك والبدع والشوائب، وأن هذه الشريعة قد جاءت بسد الوسائل المفضية إلى الشرك صغيره وكبيره، قال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ (٣) لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ» (الزمر: ٢- ٤).

ففي هذه الآيات تقرير لجمل من أهم قضايا التوحيد، منها:

١- أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بإخلاص الدين لله، سواء كان ذلك في التوحيد العلمي الاعتقادي أو في توحيد العبادة «فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ».

ومن معنى ذلك: أمر الله نبيه صلى الله

عليه وسلم ألّا يجعل لله شريكًا يصرف له شيئًا من أنواع العبادات التي يتقرب بها إلى الله كالصلاة، والذبح، والنذر...

وألّا يجعل لله شريكًا يصرف له شيئًا من صفات الربوبية كالرزق وشفاء الأمراض والإحياء والإماتة...

٢- بيان أن شرك المشركين إنما كان باتخاذ الوسائط التي يصرفون لها أنواعًا من العبادات، فكان من شركهم أنهم: «اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» فصرفوا لهم بعض العبادات، وادَّعوا أنهم لا يفعلون ذلك إلا لأن هذه الوسائط تقربهم من الله، قالوا: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»، فكذبهم الله في زعمهم هذا وبيّن أن ادعاءهم هذا ضلالة وكذب على الله وعلى أنبيائه وعلى شرعه، وأنهم أبعد الناس عن الهداية: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ».

٣- بيان أن شرك كثير من الناس كان بادعاء الولد لله فمنهم من جعل الملائكة بنات الله «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ» (النحل: ٥٧)، فهم كانوا يدَّعون أن الملائكة إناثًا وأنهم بنات الله، قال تعالى: «أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا» (الإسراء: ٤٠)، ومنهم من جعل بعض الأنبياء والمرسلين أبناء لله قال تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ» (التوبة: ٣٠).

وكل ما سبق مجمع عليه بين أهل الإسلام وأدلة الوحيين من الكتاب والسنة متضافرة على إثباته.

الواسطة بين العبد وربه:

ففي الآيات بيان حكم اتخاذ الوسائط التي يصرف لها شيء من العبادة بين العبد والرب سبحانه وتعالى وأن ذلك من أعظم شرك المشركين، وأن بعثة الرسل كانت من أجل إخلاص الدين كله لله.

لكن لا بد من بيان أن الوسائط بين العبد وربه تنقسم إلى قسمين في الجملة:

الأول: وسائط مشروعة.

الثاني: وسائط ممنوعة.

أما القسم الأول: الوسائط المشروعة: فهي الوسائط التي تبلغ عن الله مراده للعباد سواء كانوا من الملائكة المقربين أو الرسل المصطفين، قال الله تعالى: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» (الحج: ٧٥).

ومن وسائط التبليغ: المشايخ والأئمة الذين يبلغون عن الله ورسوله العلم، فيأخذون منهم ويقتدون بهم، فمن جعلهم وسائط بين الرسول وبين أمته يبلغونهم؛ ويعلمونهم؛ ويؤدبونهم؛ ويقتدون بهم؛ فقد أصاب.

قال ابن تيمية: «وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين؛ واليهود؛ والنصارى؛ فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره. قال تعالى: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» (الحج: ٧٥) ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل» (مجموع الفتاوى- جمع ابن القاسم ١ /١٢٢- ١٢٣).

فهذه الوسائط تُطاع وتُتَّبع ويقتدى بها، ولا يجوز لأحد أن يصرف لها شيئًا من العبادة أو أن يغلو فيها فيصرف لها شيئًا من صفات الربوبية.

أما القسم الثاني: الوسائط الممنوعة: فهي ثلاثة أقسام كلها ممنوع:

١- أن يجعل بينه وبين ربه وسائط لا يعبدهم ولا يصرف لهم شيئًا من العبادات كالذبح والنذر والصدقة ونحوها، وإنما يجعلهم أسبابًا بينه وبين ربه لاعتقاده صالحهم كأن يسأل ميتًا الدعاء، ولا يعتقد أنه قادر على شيء فهذه الوسيلة ممنوعة، لكن هل هي من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام، أم هي وسيلة بدعية من الذرائع التي تفضي إلى الشرك، الراجح القول الثاني، قال الشيخ بكر أبو زيد في تصحيح الدعاء (ص:٢٥٠): «سؤال حيٍّ لميت بحضرة

قبره بأن يدعو الله له، مثل قول عباد القبور مخاطبين لها: يا فلان ادع الله لي بكذا وكذا، أو: أسألك أن تدعو الله لي بكذا وكذا؛

فهذا لا يختلف المسلمون بأنها وساطة بدعية، ووسيلة مُفضية إلى الشرك، ودعاء الأموات من دون الله، وصرف القلوب عن الله تعالى.

لكن هذا النوع يكون شركًا أكبر في حال ما إذا أراد الداعي من صاحب القبر الشفاعة والوساطة الشركية على حد عمل المشركين «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى»».

٢- أن يجعل بينه وبين الله وسائط تتخذ في جلب المنافع ودفع المضار، فيتخذونهم شفعاء بينهم وبين ربهم في جلب منفعة أو دفع مضرة، كما يعتقد كثير من المخرفين والضلال أن الأقطاب لهم تحكم في الكون، أو الولي يرزق، ويشفي، ويخلق، ويحيي ويميت، ويمنع ويعطي فهذا من أعظم الشرك الذي حاربه الرسل، قال تعالى مبكتًا للمشركين يوم القيامة: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ» (سبأ: ٢٢).

٣- جعل بعض المشايخ وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية، فيبلغون الله طلب عباده، فعندهم أن الله سبحانه إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسط هؤلاء وشفاعتهم، فهذا أيضًا من الشرك، وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق.

تخليط متعمد:

وكثير ممن يتصدرون للناس ويدعونهم للنوع الثاني الممنوع من أنواع اتخاذ الوسائط يسحبون أدلة النوع الأول المشروع على النوع الثاني تخليطًا وتشبيهًا على عوام المسلمين.

ومن أمثلة ذلك قول:... في تفسير قول الله تعالى: «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الشعراء: ٨٩): «إلا من أتى الله ومعه شفيع... أن يكون معك عارف بالله أو ولي... فعلى كل واحد أن يأتي ومعه ولي».

ولا شك أن هذا خطأ فادح وفتح لأبواب من البدع خطير، وليس هذا الذي قاله قول أحد من العلماء لا في القديم ولا في الحديث، وقد قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٤ /٢٣٥): «وقوله: «بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» معناه: خالص من الشرك والمعاصي، وعلق الدنيا المتروكة وإن كانت مباحة كالمال والبنين.

قال سفيان: هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يقتضي عموم اللفظة، ولكن السليم من الشرك هو الأهم.

وقال الجنيد: بقلب لديغ من خشية الله، والسليم اللديغ».

وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦ /١٢٦): «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» أي: سالم من الدنس والشرك.

قال محمد بن سيرين: القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وقال ابن عباس: «إلا مَنْ أَتَى الله بِقَلْبِ سليم» حيي يشهد أن لا إله إلا الله.

وقال مجاهد، والحسن، وغيرهما: «بِقَلْبِ سليم» يعني: من الشرك.

وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم: هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض. قال الله: «فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ» (البقرة:١٠).

وقال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة، المطمئن إلى السنة».

والمراد هنا مجرد التمثيل لتخليط هؤلاء وإلا فالأمر أكبر وأعظم من مجرد هذا المثال.

أسأل الله أن يردنا وإياهم إليه ردًا جميلاً.
والحمد لله رب العالمين.

الأجوبة عن أسئلة الأضحية

إعداد د. حمدي طه

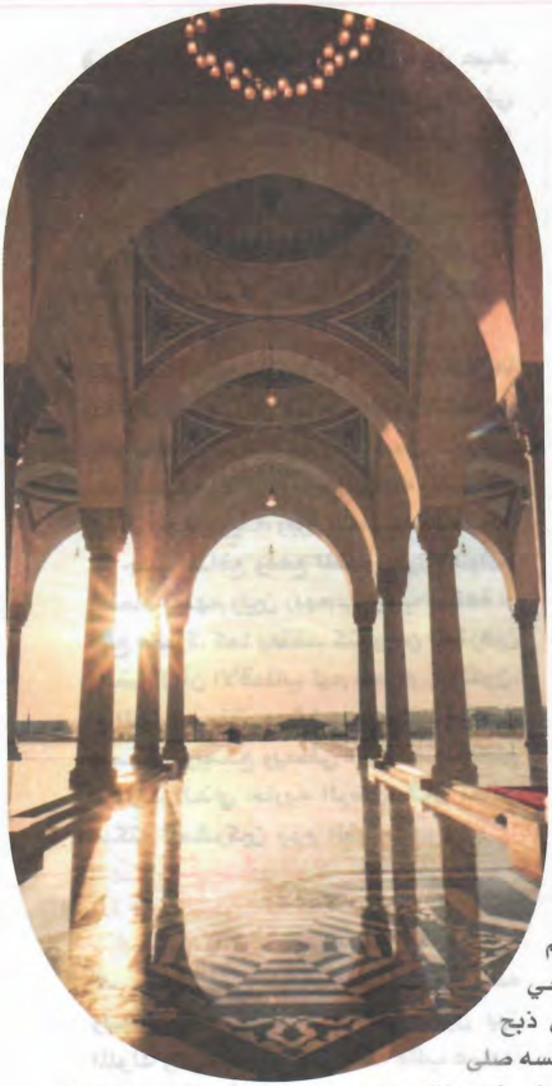

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي هذا اللقاء نُجيب عن أهم الأسئلة التي تتعلق بالأضحية.

ما هي الأضحية؟

اسمٌ لما يُذكى من النَّعم تقربًا إلى الله تعالى في أيام النحر بشرائط مخصوصة.

ما هو دليل مشروعية الأضحية؟

الأضحية مشروعة بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم القولية ،والفعلية، وانعقد الإجماع على ذلك.

أما الكتاب الكريم فقوله تعالى: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» سورة الكوثر الآية ٢. وأما السنة النبوية الفعلية، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحي وكان يتولى ذبح أضحيته بنفسه صلى الله عليه وسلم فمن ذلك، عن أنس رضي الله عنه قال: (ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين، فرأيته واضعًا قدمه على صفاحهما يسمِّي ويكبر فذبحهما بيده). رواه البخاري.

وأما السنة النبوية القولية، فقد وردت أحاديث كثيرة في الأضحية منها:

عن البراء-رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، من فعله فقد أصاب سنتنا.... الحديث. رواه البخاري ومسلم.

ما هي الحكمة من مشروعية الأضحية؟

قال أهل العلم: إن الأضحية شرعت لحكم كثيرة منها:

أولاً: إحياءً لسنة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، حينما رأى في المنام أنه يذبح

ولده إسماعيل.

ثانيا: شكرا لله سبحانه وتعالى على نعمه المتعددة.

ثالثا: إن ذبح الأضحية وسيلة للتوسعة على النفس وأهل البيت وإكرام الجيران والأقارب والأصدقاء والتصدق على الفقراء.

ما هو حكم الأضحية؟

اختلف الفقهاء في حكم الأضحية على قولين:

القول الأول: الأضحية سنة مؤكدة في حق الموسر، وهذا قول أكثر العلماء، فهو قول الشافعية والحنابلة وأرجح القولين عند مالك.

القول الثاني: الأضحية واجبة، وبهذا قال جماعة من أهل العلم منهم أبو حنيفة على اختلاف بينهم في حق من تجب. ويرجع سبب اختلاف الفقهاء في حكم الأضحية إلى أمرين:

الأول: هل فعل الرسول صلى الله عليه وسلم محمول على الوجوب أم على الندب؟

الثاني: اختلافهم في مفهوم الأحاديث الواردة في الأضحية.

ولا يتسع المجال لذكر الأدلة والمناقشة، والذي يظهر رجحان قول جمهور أهل العلم بأن الأضحية سنة مؤكدة، وليست واجبة.

ما الذي يطلب ممن أراد التضحية عند دخول أول ذي الحجة؟

ينبغي لمن أراد أن يضحي وأهل عليه هلال ذي الحجة عدم الأخذ من شعره وأظفاره لحديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره وبشره شيئا). رواه مسلم

أيهما أفضل الأضحية أم التصدق بثمنها؟

إن الأضحية شعيرة من شعائر الله، وسنة مؤكدة من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم.

والمطلوب من المسلم أن يعظم شعائر الله وأن يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ» سورة الحج الآية ٣٢.

وقال تعالى: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا» سورة الأحزاب الآية ٢١.

لذا كانت الأضحية أفضل من التصدق بثمنها كما هو مذهب جمهور أهل العلم. ولأن إيثار الصدقة على الأضحية يفضي إلى ترك سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هل يقوم غير الأضحية من الصدقات مقامها؟

الجواب: لا يقوم غير الأضحية من الصدقات مقامها، حتى لو تصدق إنسان بشاة حية أو بقيمتها في أيام النحر لم يكن ذلك مغنيا له عن الأضحية، وذلك أنها شعيرة تعلقت بإراقة الدم، والأصل أن الأمر الشرعي إذا تعلق بفعل معين لا يقوم غيره مقامه كالصلاة والصوم.

هل تجزئ الأضحية عن العقيقة؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: تجزئ الأضحية عن العقيقة، وبه قال الحنفية وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

وترى هذه الطائفة من أهل العلم أن المقصود بالأضحية والعقيقة يحصل بذبح واحد، وفي ذلك نوع شبه من الجمعة والعيد إذا اجتمعتا، وكما لو صلى ركعتين ينوي بهما تحية المسجد وسنة المكتوبة، أو صلى بعد الطواف فرضا أو سنة مكتوبة، وقع عنه وعن ركعتي الطواف.

القول الثاني: لا تجزئ الأضحية عن العقيقة وهو قول جمهور الفقهاء المالكية والشافعية والرواية الأخرى عن الإمام أحمد.

وحجة هؤلاء أن كلا من الأضحية والعقيقة ذبحان بسببين مختلفين، فلا يقوم الواحد عنهما، كدم التمتع ودم الفدية.

وقالوا أيضا: إن المقصود بالأضحية إراقة الدم في كل منهما، ولا تقوم إراقة مقام إراقتين. وسئل الشيخ ابن حجر المكي عن ذبح شاة أيام الأضحية بنيتها ونية العقيقة، فهل يحصلان أو لا؟ فأجاب: "الذي دل عليه كلام الأصحاب وجرينا عليه منذ سنين أنه لا تداخل في ذلك؛ لأن كلا من الأضحية والعقيقة، سنة مقصودة لذاتها، ولها سبب يخالف سبب الأخرى، والمقصود منها غير المقصود من الأخرى؛ إذ الأضحية فداء عن النفس، والعقيقة فداء عن الولد، إذ

بها نُمُوهُ وصلاحهُ، ورجاءُ برّه وشفاعته، وبالقول بالتداخل يبطل المقصود من كل منهما، فلم يمكن القول به نظير ما قالوه في سنة غسل الجمعة وغسل العيد، وسنة الظهر وسنة العصر، وأما تحية المسجد ونحوها فهي ليست مقصودة لذاتها بل لعدم هتك حرمة المسجد، وذلك حاصلٌ بصلاة غيرها، وكذا صوم نحو الاثنين، لأن القصد منه إحياء هذا اليوم بعبادة الصوم المخصوصة، وذلك حاصلٌ بأي صوم وقع فيه".

والذي أراه راجحًا هو عدم إجزاء الأضحية عن العقيقة، وعدم إجزاء العقيقة عن الأضحية، لأن كلاً منهما لها سببها الخاص في إراقة الدم، ولا تقوم إحداهما مقام الأخرى.

إذا اجتمعت الأضحية والعقيقة منْ يكون أولى؟

الأضحيَة والعقيقة سنتان، فإن عجز عن القيام بهما معا لفقر ونحوه قدّم الأضحيَة؛ لضيق وقتها واتساع وقت العقيقة.

إذا نذر الإنسان أن يذبح فهل يجوز أن يجمع بينه وبين الأضحيَة؟

الأصل في النذر أن يؤدى كما نذر، ولا يجوز لك الجمع بين الأضحيَة والنذر في هذه الذبيحة، فهذه الذبيحة تقع عن النذر، واذا أردت الأضحية فعليك بذبيحة أخرى عنها.

ما هي شروط الأضحية؟

الشرط الأول: أن تكون الأضحية من الأنعام؛ فقد اتفق جمهور أهل العلم بما فيهم أصحاب المذاهب الأربعة على أنه يشترط في الأضحية أن تكون من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم.

ويشمل ذلك الذكر والأنثى من النوع الواحد، وكذا الخصي والفحل، والمعز نوع من الغنم، والجاموس نوع من البقر، ولا يصح في الأضاحي شيء من الحيوان الوحشي، كالغزال، ولا من الطيور كالديك.

الشرط الثاني: أن تبلغ سن التضحية؛ اتفق جمهور أهل العلم على أنه لا يجزئ من الإبل والبقر والمعز إلا الثني فما فوقه ويجزئ من الضأن الجذع فما فوقه. والأصل في ذلك حديث جابر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:(لا تذبحوا إلا مسنةً إلا أن يعسرِ عليكم فتذبحوا جذعةً من الضأن) رواه مسلم. قال الإمام النووي:(قال العلماء المسنة هي الثنية من كل شيء من الإبل والبقر والغنم فما فوقها، وهذا تصريح بأنه لا يجوز الجذع من غير الضأن في حال من الأحوال).

وقد اختلف جمهور الفقهاء في المراد بالجذع والثني، واختلاف الفقهاء في بيان الجذع والثني مردّه إلى اختلاف أهل اللغة فيهما.

الشرط الثالث: أن تكون الأضحية سليمة من العيوب المانعة من صحة الأضحية: وهي العور البيّن، والمرض البيّن، والعرج البيّن، والهزال المزيل للمخ، فقد ثبت في الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربعٌ لا تجوز في الأضاحي: العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين عرجها والكسير التي لا تنقي.

الشرط الرابع: أن تكون الأضحية ملكًا للمضحى أو مأذونًا له في التضحية بها.

الشرط الخامس: أن يكون الذبح في الوقت المحدد شرعًا، ويبدأ من شروق شمس يوم النحر «العاشر من ذي الحجة» وبعد دخول وقت صلاة الضحى، ومُضي زمان من الوقت يسع صلاة ركعتين وخطبتين خفيفتين، لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا، نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح فإنما هو لحم قدمه لأهله، وليس من النسك في شيء) رواه البخاري ومسلم. قال القرطبي: ظواهر الأحاديث تدل على تعليق الذبح بالصلاة، لكن لما رأى الشافعي أن من لا صلاة عيد عليه مخاطب بالتضحية حمل الصلاة على وقتها.

وينتهى وقت الذبح بغروب شمس آخر أيام التشريق، وبذلك تكون أيام الذبح أربعة أيام.

ما هو حكم التضحية بالعجول المسمنة التي لم تبلغ السن المقرر شرعا؟

إن الالتزام بالسن المقرر شرعًا في الأضحية أمر مطلوب شرعًا، ولا تجوز مخالفته بالنقص عنه، وتجوز الزيادة عليه، ولكن بعض الناس تعارفوا على التضحية بالعجول المسمنة

التي تقل أعمارها عن السن المطلوب، ويظنون أن هذه العجول السمينة تجزئ في الأضاحي، فلم أجد أحدًا من الفقهاء القدامى، قال بجواز النقص عن السن المقرر شرعًا، وأظن بأن قضية السن في الأضحية تعبدية حيث خُصّ من هذا الحكم، واحد من الصحابة أو اثنان، بنص أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. لقد وردت الأحاديث التي أشارت إلى السن المعتبر في الأضاحي، والتي اعتمد عليها الفقهاء في تحديد السن المعتبر في الأضاحي، واعتبروا ذلك شرطًا من شروط صحة الأضحية. وان المدقق في الأحاديث التي أشارت إلى السن يرى أنه لا يجوز تجاوز تلك السن.

وبناء على ما تقدم أقول: لا تصح التضحية بالعجول السمينة مهما بلغ وزنها ولا بد من الالتزام بالسن المقرر عند الفقهاء في البقر وهو سنتان، ولا يصح النقص عنه.

ما هو الأفضل في الأضحية من أنواع الأنعام؟

اختلف الفقهاء في الأفضل في الأضحية من أنواع الأنعام على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أفضل الأضاحي هي البدنة ثم البقرة ثم الشاة.

القول الثاني: أفضل الأضاحي الضأن ثم البقر ثم الابل، وهذا قول المالكية المعتمد عندهم.

القول الثالث: أفضل الأضاحي ما كان أكثر لحمًا وأطيب، وهذا قول الحنفية.

ما حكم النيابة عن الأضحيَّة؟

اتفق الفقهاء على أنه تصح النيابة في ذبح الأضحيَّة.

ما حكم صك الأضحيَّة؟

الصك نوع من أنواع الوكالة، وهي جائزة في النيابة في ذبح الأضحيَّة وتوزيعها، ويجب على الوكيل أن يراعي الشروط الشرعية في الأضحيَّة: من سنها وسلامتها من العيوب، وذبحها في وقت الذبح، وتوزيعها على من يستحقها.

هل يجوز الاقتراض من أجل الأضحيَّة وإذا فعل ذلك هل تجزئه؟

الأُضحيَّة سنة لمن تكون لديه القدرة عليها، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فمن كان غير واجد للمال الذي يكفي لشراء الأضحيَّة فاشترى أضحيته بالثمن المقسط أو المؤجل لأجل معلوم وضحى بها؛ أجزأه، ومن كان غير واجد للمال الذي يكفي لشراء الأضحيَّة فاشترى أضحيته بالثمن المقسط أو المؤجل لأجل معلوم وضحى بها؛ أجزأه.

هل تجزئ الأُضحيَّة عن صاحبها وأهل بيته أم عن صاحبها فقط؟

تجزئ الأضحيَّة عن صاحبها وعن أهل بيته الذين ينفق عليهم، فالشاة الواحدة تجزئ عن أهل البيت الواحد، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد.

هل يجوز الاشتراك في الأضحيَّة؟

لا يجوز الاشتراك في الشاة والماعز، ويجوز الاشتراك في الأضحيَّة إذا كانت الذبيحة من الإبل أو البقر، لأن سبع الواحد منها يجزئ عن أضحيَّة، فيمكن لسبعة أفراد مختلفين أن يتشاركوا في بدنة أو بقرة.

هل يجوز بيع شيء من الأضحية؟ وهل يجوز إعطاء الجزار شيئا من الأضحيَّة؟

قال جمهور أهل العلم لا يجوز بيع شيء من الأضحية لا لحمها ولا جلدها ولا أطرافها، واجبة كانت أو تطوعًا، ولا يجوز أن يُعطى الجزَّار شيئًا من الأضحية مقابل ذبحها وسلخها لحديث علي رضي الله عنه قال:(أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقوم على بدنه، وأن أتصدق بلحمها وجلودها وأجلتها، وأن لا أعطي الجزَّار منها. وقال: نحن نعطيه من عندنا) رواه البخاري ومسلم.

هل يجوز الادخار من لحم الأضحيَّة؟

يجوز ادخار لحوم الأضاحي عند جمهور الفقهاء لقول النبي صلي الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي ألا فادخروها(رواه مسلم).

نسأل الله تعالي أن يتقبل منا ومنكم .

والحمد لله رب العالمين.

المختصر في حساب الجبر والمقابلة

كتاب الجبر والمقابلة

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد.

فقد كان لعلماء المسلمين في عصر الحضارة الإسلامية فضل كبير في تقدم علم الرياضيات، فقد ابتكروا فيه وأضافوا إليه وطوروه وكان علي رأسهم أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي الذي وضع قواعد علم الجبر الأساسية وأصوله الابتدائية كما نعرفها اليوم، حيث ساهمت أعماله في الرياضيات ماضياً وحاضراً في انتقال علم الجبر والأعداد العربية إلى أوروبا، ويجدر بنا نحن المسلمين أن نفخر بأن علم الجبر من أعظم ما اخترعه العقل البشري من علوم لما فيه من دقة وأحكام قياسية عامة، وأن نشمر ساعد الجد والكد لمزيد من البحث والعمل لاكتشاف القوانين الكونية التي خلقها الله عز وجل حتى يقوي إيماننا على علم وبصيرة.

إعداد **محمد محمود فتحي**

التعريف بالكتاب

كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة هو كتاب في الرياضيات باللغة العربية ألفه عالم الرياضيات الخوارزمي، حيث وضع أسس علم الجبر كونها أول دراسة منهجية لحل معادلة من الدرجة الأولى والثانية، وقد عمل خلفاء الخوارزمي على توسيع نطاق عمله في كتب أخرى التي غالبًا ما تحمل نفس العنوان.

إن الدافع الذي جعل العالم المسلم الخوارزمي يقوم بتأليف هذا الكتاب هو سد الاحتياجات العملية للناس التي تتعلق بالميراث وتقسيم الممتلكات والتجارة، وقد بين الخوارزمي في مقدمة كتابه: (الجبر والمقابلة) أن الخليفة المأمون هو الذي طلب منه أن يؤلف كتاب الجبر والمقابلة كي يسهل الانتفاع به في كل ما يحتاج إليه الناس، ولتقييم الطرق الرياضية المفيدة في إدارة الدولة العباسية الضخمة التي تمتد من آسيا الوسطى إلى جبال البرانس.

(تاريخ الرياضيات العربية؛ د. رشدي الراشد، مركز دراسات الوحدة العربية)

محمد بن موسى الخوارزمي

أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي عالم رياضيات وفلك وجغرافيا مسلم. يكنى بأبي جعفر. قيل إنه ولد حوالي (١٦٤هـ /٧٨١م) وانتقلت عائلته من مدينة خوارزم في إقليم خراسان الإسلامي (والتي تسمى "خيوا" في العصر الحالي، في جمهورية أوزبكستان) إلى بغداد. وأنجز الخوارزمي معظم أبحاثه بين

عامي (٨١٣م و٨٣٣م) في دار الحكمة في بغداد، التي أسسها الخليفة المأمون، حيث عينه المأمون على رأس خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها. وقد استفاد الخوارزمي من الكتب التي كانت متوفرة في خزانة المأمون فدرس الرياضيات والجغرافية والفلك والتاريخ، إضافة إلى إحاطته بالمعارف اليونانية والهندية. نشر كل أعماله باللغة العربية، التي كانت لغة العلم في ذلك العصر. ويسميه الطبري في تاريخه: محمد بن موسى الخوارزمي القطربلي، نسبة إلى قرية قطربل من ضواحي بغداد. وبدأ الخوارزمي كتابه (الجبر والمقابلة) بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم). وبالرغم من عدم إجماع المصادر التأريخية والموسوعات العلمية على هويته إلا أن الموسوعة البريطانية (نسخة الطلاب الأطفال) وموسوعة مايكروسوفت إنكارتا وموسوعة جامعة كولومبيا تقول إنه عربي، بينما تذكر مصادر أخرى أنه فارسي أو تركي. وفي الإصدار العام للموسوعة البريطانية ذكر أنه "عالم مسلم" من دون تحديد قوميته، وفي كتاب الفهرست لابن النديم، توجد سيرة ذاتية قصيرة للخوارزمي، مع قائمة الكتب التي كتبها. وبعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس، أصبحت بغداد مركز الدراسات العلمية والتجارية، وأتى إليها العديد من التجار والعلماء من مناطق بعيدة مثل الصين والهند، كما فعل الخوارزمي. وكان يعمل في بغداد، وهو باحث في بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة المأمون، حيث درس العلوم والرياضيات، والتي تضمنت ترجمة المخطوطات اليونانية والسنسكريتية العلمية وغيرها. ويعتبر الخوارزمي من أوائل علماء الرياضيات المسلمين حيث ساهمت أعماله بدور كبير في تقدم الرياضيات في عصره، وقبل وفاته في (٢٣٢هـ/ ٨٥٠ م) كان الخوارزمي قد ترك العديد من المؤلفات في علوم الرياضيات والفلك والجغرافيا ومن أهمها كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة الذي يعد أهم كتبه.

مرجع: (هنري كوربين (١٩٩٨)، الرحلة والرسول: إيران والفلسفة)

محتويات الكتاب

الكتاب يحتوي على كل ما هو مفيد في حساب ما يحتاجه الناس في مسائل الميراث ، ومشاكل التقسيم، والتجارة، حيث ينقسم الكتاب إلى ٣ أجزاء:

١- منهج ومعالجة معادلات الدرجة الأولى والثانية وهو الجزء الرئيسي من الكتاب.
٢- منهج لحساب المساحات والأحجام لبعض الأشكال الهندسية.
٣- حل مسائل الميراث والوصايا والتكملة والرق في الإسلام

وفي هذه الأطروحة، دراسة منهجية لمجموعة من المعادلات، وتغطي هذه الدراسة الحلول الكاملة لمعادلة رياضية، وتختلف طريقة وصف المعادلات في الكتاب عن الطريقة الحديثة للرياضيات حيث يتم عرضها بالمقادير الجبرية وهي المقادير أو الأعداد التي يحتاج إليها في حساب الجبر والمقابلة وهي ثلاثة على نحو التالي:

١- مال: كل ما اجتمع من الشيء المضروب في نفسه
٢- شيء أو جذر: وهو العدد المجهول
٣- عدد مفرد: كل ملفوظ من العدد بلا نسبة إلى جذور ولا أموال ويعرف بالحد الخالي

ويمكن شرح ما سبق بالإشارة إلى أبيات الشعر لابن الياسمين في الأرجوزة الياسمينية

على ثلاثة يدورُ الجبرُ
المالُ والأعدادُ ثمّ الجذرُ
فالمالُ كلُ عددٍ مُربّعِ
وجذرُهُ واحدُ تلك الأضلعِ
والعددُ المُطلقُ ما لم يُنسبِ
للمالِ أو للجذرِ فافهم تُصبِ
والشّيءُ والجذرُ بمعنى واحدِ
كالقولِ في لفظ أبٍ ووالدِ

(الجبر والمقابلة: محمد بن موسى الخوارزمي ، تحقيق الدكتور علي مصطفى مشرفة، والدكتور محمد مرسي احمد، من منشورات الجامعة المصرية، كلية العلوم)

النسخ المحققة

بقيت نسخة واحدة باللغة العربية موجودة بجامعة أكسفورد ومؤرخة في عام ١٣٦١م ، وفي عام ١٨٣١م، نشر فردريك روزن ترجمة باللغة الإنجليزية معتمداً على هذا المخطوط.

وإلى كتاب آخر نبحر من خلاله ونرسو على شطآنه.

والحمد لله رب العالمين.

حَظُّ الأسرة المسلمة من خطبة الوداع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فيا معاشر القراء: كل عام وأنتم بخير. وجعل الله تعالى شهرنا هذا- ذا الحجة- أفضل خاتمة لعام هجري مما مضى من عمر الأمم والناس. كلنا مسؤولون أمام ربنا سبحانه عن نسائنا وأبنائنا وذرياتنا. كيف ربيناهم وماذا علمناهم. وعلى أي خلق أدبناهم. وليكن لنا بشهرنا هذا وقفة نلتفت فيها للخلف قليلا. ماذا فعلنا من الحسنة والسيئة. كيف قُرْبنا من الله وتعظيمنا لحرماته وشعائره. كيف توبتنا ودعوتنا. وسمعنا وطاعتنا. وامتثالنا لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؟. والرجاء أن يكون العام الجديد نقطة بدء صحيح، ومنطلقًا للاستفادة والتصحيح؛ في السبق إلى الله رب العالمين.

إعداد د. جمال عبد الرحمن

قال تعالى: "سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ" (الحديد: ٢١).

لقد حج رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام في حياته حجة واحدة، سميت بحجة الوداع. أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم نيَته بالحج، وأشعر الناس بذلك حتى يصحبه من شاء. فترك المدينة أواخر ذي القعدة، بعد أن أمَّر عليها في غيابه أحد أصحابه.

والحجَ هذه المرة جاء مغايرًا لما ألفته العرب أيام جاهليتها. فقد انتهت العهود المعطاة للمشركين، وحظر عليهم أن يدخلوا المسجد الحرام. فأصبح أهل الموسم- قاطبة- من الموحَدين، الذين لا يعبدون مع الله شيئًا. وأقبلت وفود الله من كل صوب، تيمم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في هذا العام أمير حجهم، ومعلم نسكهم!!.

ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الألوف المؤلفة وهي تلبِّي وتهرع إلى طاعة الله، فشرح صدره انقيادها للحق، واهتداؤها إلى الإسلام، وعزم أن يغرس

فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه .

في قلوبهم لباب الدين، وأن ينتهز هذا التجمّع الكريم ليقول كلمات تبدّد آخر ما أبقت الجاهلية من مخلّفات في النفوس، وتؤكّد ما يحرص الإسلام على إشاعته من آداب وعلائق وأحكام.

وها هو ذا عليه الصلاة والسلام هذه السنة يقود الحجيج في أوّل موسم يخلص فيه من الشرك، ويتمحّض فيه لله الواحد القهار. وها هو ذا على ناقته العضباء يستنصت الجماهير المائجة ليؤكّد المعاني التي بعث بها، والتي عرفهم عليها، ويخلّي ذمته من عهدة البلاغ والتبيان التي نيطت بعنقه.

فألقى عليه الصلاة والسلام هذه الخطبة الجامعة:

«أيّها النّاس! اسمعوا قولي، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا. أيها النّاس! إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنّكم ستلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلّغت. فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها، وإنّ كلّ ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنّه لا ربا، وإنّ ربا العباس بن عبد المطّلب موضوع كلّه..

أما بعد: أيها الناس، إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه أبدا، ولكنّه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم!!.....ثم قال صلى الله عليه وسلم: وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد: أيها الناس، فإنّ لكم على نسائكم حقّا، ولهنّ عليكم حقّا. لكُنّ عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهنّ ألا يأتين بفاحشة مبيّنة؛ فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع، وتضربوهنّ ضربا غير مبرّح، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهنّ عندكم عوان (أسيرات)، لا يملكن لأنفسهنّ شيئا. وإنّكم إنّما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، فاعقلوا أيها الناس قولي فإنّي قد بلّغت. وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، أمرًا بيّنا: كتاب الله وسنّة نبيّه. أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمنّ أنّ كلّ مسلم أخ للمسلم، وأنّ المسلمين إخوة، فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمنّ أنفسكم، اللهم هل بلّغت؟». قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهمّ اشهد». (قال الألباني في تحقيق فقه السيرة ص٤٥٤: جاء سندها في أحاديث متفرقة؛ وقسم كبير منها رواه مسلم).

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد- بعد بلاء طويل في إبلاغ الرسالة- أن يفرّغ في آذان الناس وقلوبهم آخر ما لديه من نصح. كان يحسّ أنّ هذا الركب سينطلق في بيداء الحياة وحده، فهو يصرخ به كما يصرخ الوالد بابنه الذي انطلق به القطار، يوصيه الرشد، ويذكّره بما ينفعه أبدًا. وكان هذا النبيّ الطيب صلى الله عليه وسلم كلما أوجس خيفة من مكر الشيطان بالناس، عاود صيحات الإنذار، واستثار أقصى ما في الأعماق من انتباه، ثم ساق الهدى والعلم... وقطع المعاذير المنتحلة، وانتزع- بعد ذلك- شهادة من الناس على أنفسهم وعليه أنّهم قد سمعوا، وأنّه قد بلّغ. مستفاد من كلام الشيخ الغزالي رحمه الله في كتابه فقه السيرة.

لا يحل للمرأة أن تمكن أحدا من دخول بيت زوجها، وهو يكره أن يدخل، حتى ولو كان أقرب قريب.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قوله صلى الله عليه وسلم: (فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله) فيه الحث على مراعاة حق النساء والوصية بهن ومعاشرتهن بالمعروف وقد جاءت أحاديث كثيرة صحيحة في الوصية بهن وبيان حقوقهن والتحذير من التقصير في ذلك وقد جمعتها أو معظمها في رياض الصالحين. وقوله صلى الله عليه وسلم: (أخذتموهن بأمان الله) هكذا هو في كثير من الأصول وفي بعضها بأمانة الله. قوله صلى الله عليه وسلم: (واستحللتم فروجهن بكلمة الله) قيل: معناه قوله تعالى: " فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان". وقيل: المراد كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم. وقيل: المراد بإباحة الله، والكلمة: قوله تعالى: " فانكحوا ما طاب لكم من النساء". وهذا الثالث هو الصحيح، وبالأول قال الخطابي والهروي وغيرهما. وقيل: المراد بالكلمة: الإيجاب والقبول. ومعناه على هذا بالكلمة التي أمر الله تعالى بها والله أعلم. قوله صلى الله عليه وسلم: (ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح).

قال المازري: قيل: المراد بذلك: أن لا يستخلين بالرجال، ولم يرد زناها، لأن ذلك يوجب جلدها ولأن ذلك حرام مع من يكرهه الزوج ومن لا يكرهه. وقال القاضي عياض: كانت عادة العرب حديث الرجال مع النساء، ولم يكن ذلك عيبا ولا ريبة عندهم، فلما نزلت آية الحجاب نهوا عن ذلك. هذا كلام القاضي. والمختار: أن معناه: أن لا يأذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلا أجنبيا أو امرأة أو أحدا من محارم الزوجة. فالنهي يتناول جميع ذلك وهذا حكم المسألة عند الفقهاء: أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه، لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عرف رضاه باطراد العرف بذلك ونحوه، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء ولا وجدت قرينة لا يحل الدخول ولا الإذن والله أعلم. وأما الضرب المبرح فهو الضرب الشديد الشاق، ومعناه: اضربوهن ضربا ليس بشديد ولا شاق، والبرح: المشقة والمبرح بضم الميم وفتح الباء وكسر الراء:)الشاق). وفي هذا الحديث إباحة ضرب الرجل امرأته للتأديب، فإن ضربها الضرب المأذون فيه فماتت منه وجبت ديتها على عاقلة الضارب ووجبت الكفارة في ماله. قوله صلى الله عليه وسلم: (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) فيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالإجماع". شرح النووي على مسلم (٨/ ١٨٣-١٨٤).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى على موقعه الرسمي في فتاواه: ما أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة حين قال: «ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه»، يعني: فلا يحل للمرأة أن تمكن أحدا من دخول بيت زوجها، وهو يكره أن يدخل، حتى ولو كان أقرب قريب لها؛ لأن البيت بيته، والحق حقه ويجب عليها كذلك أن تطيعه في ما هو من حقه. والحمد لله رب العالمين.

قصة مفتراة على نبي الله يعقوب عليه السلام

إعداد **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية وتوضيحا للقارئ الكريم: كتب السنة الأصلية التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مثل «المعجم الكبير»، وكذلك «المعجم الصغير»، للحافظ الطبراني، و«المستدرك» للحاكم، و«الأمالي» للشجري، و«شعب الإيمان» للبيهقي، و«الفرج والشدة» لابن أبي الدنيا، من حديث أنس بن مالك، كما سنبين من التخريج، وهذا مما كان سببًا في اشتهار هذه القصة.

٢- ولم يتوقف انتشار واشتهار هذه القصة على وجودها في كُتب السنة التي بيناها، بل ذُكرت في كتب التفاسير، وعلى سبيل المثال لا الحصر

أ- فقد ذكرها أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، المتوفى (٣٢٧هـ) في تفسيره المسمى «تفسير القرآن العظيم» (٢١٨٨/٧) (ح١١٩٠١).

ب- وذكرها أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ) في تفسيره المسمى «تفسير القرآن العظيم» (٣٤٨/٤).

جـ- وذكرها الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ) في كتابه «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٥٧٤/٤).

د) وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى سنة (٦٠٦هـ) في تفسيره المسمى «مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» (٤٩٧/١٨).

ل) وذكرها أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة

(٥٩٧هـ) في تفسيره المسمى «زاد المسير في علم التفسير» (٢/٤٦٥) .

م) وذكرها أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن المتوفي سنة (٧٤١هـ) في تفسيره المسمى «لباب التأويل في معاني التنزيل» (٢/٥٥٠) .

ن) وذكرها إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي المتوفى سنة (١١٢٧هـ) في كتابه «روح المعاني» (٤/٣٠٨) .

٣) كذلك اشتهرت القصة في كتب الترغيب والترهيب خاصة في الكتاب المشهور للحافظ عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري المتوفى سنة (٦٥٦هـ) كتاب «الترغيب والترهيب» (٤/١٤٤) ط: دار الحديث القاهرة.

٤) ومن أهم هذه الأسباب:

ما جاء في المتن- كما سنبين- إنكم ذبحتم شاة فأتاكم مسكين صائم فلم تطعموه منها شيئًا. اهـ.

قلت: وان تعجب فعجب أن يكون سبب ما أصاب يعقوب بسبب البخل وأي بخل، وقد ذبح شاه وأتاهم مسكين صائم، فلم يطعموه من الشاة شيئًا، وهذا أمر منكر لا يليق بإنسان عادي عنده مروءة، فكيف بنبي مرسل مشهود له بالكرم أبوه كريم، وابنه كريم وهو حفيد الكريم بشهادة الصادق المصدوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

من أجل هذا كان لابد من تخريج وتحقيق هذه القصة لنكشف عوارها ونبين عوارها ويبرأ نبي الله يعقوب مما جاء في هذه القصة المنكرة.

ثانيا: المتن

روى عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان ليعقوب عليه السلام أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم: يا يعقوب، ما الذي أذهب بصرك؟ وما الذي قوس ظهرك؟ قال: أما بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا يعقوب، إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكوني إلى غيري؟ فقال يعقوب: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو يا يعقوب، ثم قال يعقوب: أي رب أما ترحم الشيخ الكبير، أذهبت بصري وقوست ظهري فأردد علي يوسف ريحانتي أشمه شمة قبل الموت، ثم اصنع بي يا رب ما شئت، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا يعقوب: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أبشر وليفرح قلبك، وعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك، واصنع طعامًا للمساكين، فإن أحب عبادي إلي المساكين، وتدري لم أذهبت بصرك، وقوست ظهرك، وصنع أخوة يوسف ما صنعوا به؟ إنكم ذبحتم شاة فأتاكم مسكين صائم فلم تطعموه منها شيئًا، وكان يعقوب بعد ذلك إذا أتاه الغذاء أمر مناديًا فنادي إلا من كان صائمًا من المساكين فليفطر مع يعقوب». اهـ.

ثالثا: التخريج

١) هذا الخبر الذ جاءت به القصة أخرجه الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/٦١) ح (٦١٠١) . قال: حدثنا محمد بن أحمد الباهلي، قال: حدثنا وهب بن بقية الواسطي قال: حدثنا يحيى بن عبد الملك بن ابي غنية عن حصين بن عمر، عن أبي الزبير، عن أنس مرفوعًا.

وكذلك: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/٣٣) ط: دار الكتب العلمية بيروت، بنفس السند عن أنس مرفوعًا.

٢) وأخرجه أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي في تفسيره «الوسيط» (٢/٦٢٨) ط: دار الكتب العلمية بيروت، قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم الأصفهاني، حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني به، أي بنفس سند الطبراني في المعجمين.

رابعا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة منكر، والقصة واهية، والسند مسلسل بالعلل وهذا هو البرهان:

١) السند الذي جاءت به القصة غريب

غرابة مطلقة حيث قال الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/٦٣): «لا يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: إلا بهذا الإسناد تفرد به وهب بن بقية». اهـ.

قلت: وسنبين أن هذه الغرابة عن ضعفاء، ومتروكين بل وكذابين.

٢) ففي الإسناد: حصين بن عمر، قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥/١٠/١٣٤٥): «حصين بن عمر الأحمسي روى عن أبي الزبير محمد بن مسلم المكي وآخرين، وروى عنه: يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية وآخرون». اهـ.

وهذا ينطبق على هذا السند تمام الانطباق وهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه.

أ) قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/٢/١٩٤): «سمعت أبي يقول: قال لي دلويه- يعني زياد بن أيوب- نهاني أحمد بن حنبل أن أحدث عن حصين بن عمر، وقال: إنه كان يكذب».

ب) وقال أيضًا ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: «هو واهي الحديث لا أعلم يروي حديثًا يتابع عليه، هو متروك الحديث».

ج) وقال أيضًا الحافظ ابن أبي حاتم: «سئل أبو زرعة عن حصين بن عمر الأحمسي فقال: منكر الحديث».

د) وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٨٢): «منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه فقد قال محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» ص (٨٩): قول البخاري: «منكر الحديث»، فإنه يريد به الكذابين ففي «الميزان» (١/٥): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه».

٣) وفي الإسناد محمد بن أحمد الباهلي شيخ الطبراني قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٦/٣٠٣) (١٧١/١٧٩٢): «محمد بن أحمد بن سهيل الباهلي هو ممن يضع الحديث متنًا واسنادًا وهو يسرق حديث الضعفاء يلزقها على قوم ثقات». اهـ.

الاستنتاج هذا الخبر منكر والقصة واهية لما فيها من كذابين ووضاعين.

خامسا: طريق آخر منكر

أخرجه الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/٢١٨٨) ح(١١٩٠١) قال: حدثنا حسن بن عرفة، حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، عن حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس مرفوعًا، والمتن مختصر جدًا حيث أنتهى عند قول جبريل: «اللهم أعلم بما تشكو يا يعقوب». اهـ.

قلت: وهذا سند تالف حيث لا يوجد بين الراوي يحيى بن عبد الملك، والصحابي أنس إلا راوٍ واحد هو حفص بن عمر بن أبي الزبير، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٥٦٦/ ٢١٥٦): ضعفة الأزدي، فلعله عن أبي الزبير، أو كأنه حفص بن عمر بن كيسان بن أبي يزيد، عن ابن الزبير، لا عن أبي الزبير، ولا يعرف من ذا. اهـ.

ففي الإسناد اضطراب وجهالة حتى جاءت روايات أبهم فيها الراوي بين يحيى بن عبد الملك والصحابي أنس كما عند ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» ح (٤٣) عن يحيى بن عبد الملك عن رجل عن أنس...

لذلك أورد الحديث الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/٣٤٨): من رواية ابن أبي حاتم سندًا ومتنًا ثم قال: «وهذا حديث غريب فيه نكارة». اهـ.

قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢/١٨٢) قال أحمد بن حنبل: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء»، وروى ابن عدي عن أبي يوسف قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب. اهـ.

هذا ما قضى الله إليه وهو وحده وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

علي حشيش

(٩٢٣) «أعظم الناس جرمًا من انصرف من عرفات ويرى أن الله لم يغفر له».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في «المتفق والمفترق» (٤٣٣/١) ح (٢١٩)، عن إسحاق بن بشر أبي حذيفة، حدثنا محمد بن عجلان، عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، وعلته: إسحاق بن بشر أبو حذيفة.

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٣٩/١٨٤/١): «تركوه، وكذّبه علي بن المديني وقال ابن حبان: لا يحل حديثه إلا على جهة التعجب، وقال الدارقطني: كذاب متروك». اهـ.

وأقر الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١١٠٣/٣٩٢/١) ما ذكره الإمام الذهبي ثم قال: وقال مسلم بن الحجاج: أبو حذيفة ترك الناس حديثه، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: كذاب. وقال النقاش: يضع الحديث، وقال الخطيب: كان غير ثقة. اهـ.

(٩٢٤) «من صلى الفجر يوم الجمعة ثم وحّد الله في مجلسه حتى تطلع الشمس، غفر الله له، وأعطاه أجر حجة وعمرة، وكان ذلك أسرع ثوابًا وأكثر مغنمًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٦٤/٣٣٧/١) من حديث عائشة مرفوعًا وعلته: إسحاق بن بشر أبو حذيفة، وهو كذاب متروك غير ثقة يضع الحديث كما بينا آنفًا.

(٩٢٥) «اسمي في القرآن محمد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، لأني أحيد أمتي عن النار، فأحبوا العرب بكل قلوبكم».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٦٤/٣٣٧/١) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وعلته: إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو كذاب متروك غير ثقة يضع الحديث كما بينا آنفًا.

(٩٢٦) «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٤٠/١).و قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا حديث لم أجد له أصلًا»».

(٩٢٧) «ينزل الله كل يوم عشرين ومائة رحمة: ستون منها للطوافين، وأربعون للعاكفين حول البيت، وعشرون منها للناظرين إلى البيت».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤/١١) ح(١١٢٤٨) قال: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، ثنا خالد بن يزيد العمري، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد الله الليثي، عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس مرفوعًا. وفيه علتان:

الأولى: خالد بن يزيد العمري: قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٤٧٦/٦٤٦/١): «كذبه أبو حاتم ويحيى وقال ابن حبان يروي الموضوعات».

الثانية: محمد بن عبد الله بن عبيد الله الليثي قال الذهبي في «الميزان» (٧٧٣٤/٥٩٠/٣): «ضعفه بن معين: وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك». اهـ.

الحلقة

80

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

مواءمة (قرائن اللغة) مع (قرائن العقل والنقل وإجماع أئمة أهل السنة)؛ لحمل (كلام الله) على حقيقته.. ورد شبهات الأشاعرة بقصرهم إياه على (الكلام النفسي) وأنه بغير حرف ولا صوت

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فلأهمية إثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالى، وللوقوف على عبارات أئمة أهل السنة الشارحة لما غفل عنه الأشاعرة في حمل الصفة على حقيقتها، نذكر من غير من سبق الإشارة إليهم:

تقيُّ الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٠٠)، قال في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد): "ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة: عين كلام الله لا حكايةً ولا عبارةً.. ومن أنكر أن يكون حروفًا فقد كابر وأتى بالبهتان، فقد روى الترمذي من طريق ابن مسعود: (من قرأ حرفًا من كتاب الله فله عشر حسنات)".. ثم ساق الأدلة في ذلك إلى أن قال: "وأجمع أئمة السلف والمقتدى بهم من الخلف على أنه غير مخلوق، ومن قال: (مخلوق)، فهو كافر"، قال: "وقول القائل بأن الحرف والصوت لا يكون إلا من مخارج: باطل ومحال، قال تعالى: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) (ق/ ٣٠)، وقال إخبارًا عن السماء والأرض: (أتينا طائعين) (فصلت/ ١١)، فحصل القول من غير مخارج ولا أدوات".

وشيخ حنابلة عصره أبا الفرج المقدسي ت٦٨٢، قال في (جزء في امتحان السني من البدعي): "أهل السنة والجماعة يعتقدون: أن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت، سمعه منه جبريل، ومحمد صلوات الله عليه سمعه من جبريل بصوت جبريل، والصحابة سمعوا القرآن من النبي بصوته، فالكلام المتلو هو كلام الله، وأما الصوت فهو صوت القارئ، لذا قال السلف: (الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري)".

وابن أبي العز الحنفي، حيث ذكر في شرح الطحاوية ص١٠٧ افتراق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال، وقال: "وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو متكلم

به بصوت يسمع، وان نوع الكلام قديم وان لم يكن صورة المعين قديمًا، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة". وقد نقله ملا على القاري ولم يتبعه بشيء، بل "لم ينقل عن أحد من أئمة السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف، كما لم يقل أحد منهم: إن الصوت الذي سمعه موسى قديم، ولا أن ذلك النداء قديم، ولا قال أحد منهم: إن هذه الأصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به، بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين أصوات العباد" كذا نص عليه ابن قزار الجاسم في رسالته (الأشاعرة في ميزان أهل السنة: ص٤٨٣).

مسايرة قرائن اللغة لقرائن العقل والنقل والإجماع: في رد شبهات الأشاعرة:

وفي ردّه شبهات الأشاعرة القاضية بأن كلام الله: معنى قائم بنفسه بلا حرف ولا صوت، وفي تدبره واستدلاله بآية: (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ) (الفتح/ ١٥) يقول قوَام السنة في كتابه (الحجة) ٢/ ٢١٣- وبنحوه ١/ ٤٣١-: إن كلامه تعالى "لا يخلو إما أن يكون كلامًا وصل إليهم أو كلامًا لم يصل إليهم، ولا يجوز أن يكون كلامًا لم يصل إليهم لأن ما لا يصل إليهم لا يتأتى تبديله، فثبت أنه وصل إليهم، وليس ذلك إلا الحروف والأصوات، ولأنه قال: (عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ) (الإسراء/ ٨٨)، و(هذا) في موضوع اللغة: (إشارة إلى شيء حاضر)، فلو كان كلام الله معنى قائمًا في نفسه لم يصح الإشارة إليه، ولم يمتحنهم بالإتيان بمثله، لأن فيه تكليف ما لا يطاق؛ ولا يجوز ذلك، كما لا يجوز عليه أن يكلف الأميَّ نقط المصاحف والزَّمِن القيام، فثبت أن الله امتحنهم بما سمعوه من الحروف والأصوات، ولأن أهل اللغة سمَت الحروف والأصوات كلامًا وما عداه ليس بكلام حقيقة".

ومن الأدلةَ التي ساقها الأصبهاني في الحجة ٢/ ٢١٣ لرد شبهاتهم: "قوله تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟) (الأحقاف/ ٢٩) وانما ينصت إلى الحروف والأصوات.. وقوله تعالى: (إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ) المدثر/ ٢٥)، ومعلوم أن قريشًا أشارت بهذا القول إلى التلاوة التي سمعوها من النبي عليه السلام، ولو كانت من كلام البشر لما توعدهم بالنار.. وقوله: (إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ) (الواقعة/ ٧٧، ٧٨)، وقوله: (والطور. وكتاب مسطور. في رق منشور) (الطور/ ١: ٣)، و(في) عند أهل اللغة للوعاء، فدل على أن القرآن في المصحف، وأن الكتابة هي المكتوب، ولأن الأمة مجمعة على تسمية ما في المصحف قرآنًا" انتهى بتصرف.

وكان رحمه الله قد دحض بنفس المصدر ١/ ٣٦١ مزاعم الأشاعرة- القاضية بأن: كلام الله قائم بذاته وأن القرآن من كلام جبريل حكاية عنه- بما نصه: "لم يقل أحد- من جماعة أهل السنة وأصحاب الحديث-: إن القرآن قائم بالذات، فذلك قولٌ يخالف قول الجماعة.. ومن قال: (هو قائم بالذات)، يقال له: (من ردد في نفسه كلامًا من غير أن يريد أن يقرره في نفسه فهو موسوس، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا". قال: "فإن قيل: (لا يمتنع أن يكون كلام جبريل عبارة عن القرآن)، قيل: (حصول الإعجاز بلفظه ونظمه لا يحصل بكلام جبريل).. فإن قيل: (إن الحروف لا تحصل إلا بالأدوات، لأن لكل حرف منها مخرجًا ولا يجوز إضافة ذلك إلى الله)، يقال له: (قد قال الله تعالى: «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) (ق/ ٣٠)، وليس للنار أدوات للحروف، وقال: «قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ) (فصلت/ ١١)، وقال للجنة: «تكلمي» فقالت: «قد أفلح المؤمنون»، وقالت الذراع المشوية للنبي عليه السلام فيما أخرجه البخاري في صحيحه: «لا تأكلني فإني مسمومة»، ولأنه إذا جاز أن يقال: إنه لم يتكلم بحرف وصوت لأنه يؤدي إلى إثبات الأدوات، وجب أن لا يثبت له العلم لأنه لا يوجد في الشاة علم إلا علم ضرورة أو علم استدلال، وعلم الله يخرج عن هذين القسمين)" ا.هـ

كما ردَّ في الجزء الثاني ص١٦٨ على من أنكر أن يكون ما في المصحف قرآنًا بزعم أن في

المصحف الحبر والورق، وذكر أن هذا يقال له: "إن كل عاقل يعلم أنهما لا يكون قرآنا، ولكن الحبر إذا كتب به القرآن فتلك الكتابة تسمى قرآنا، لأن بها يتوصل إلى قراءة القرآن وإظهاره والإخبار عنه.. ألا ترى لو أن حالفا حلف ألا يقرأ (القرآن) ولا ينظر فيه، فقرأ (كتابة القرآن) في المصحف ونظر فيه حنث في يمينه، كما أنه لو حلف ألا يضرب زيدا الذي هو اسمه فضرب شخصه حنث في يمينه.. وإذا قال المبتدع: (ليس في المصحف قرآن)، فقد خالف الإجماع أنه مصحف القرآن، ولا يجوز أن يسمى مصحف القرآن وليس فيه قرآن، لأنه لو لم يكن فيه قرآن كان من سمّاه: (مصحف القرآن) كاذبا، فإضافة المصحف إلى القرآن إنما تصح إذا كان فيه القرآن، لأن الحروف والكلمات والآيات والسور المكتوبة في المصحف من نفس القرآن وعينه، لأنها حروفه وكلماته وسوره، وإذا عُدت قيل: عُدت حروف القرآن وكلماته وسوره، حتى لو أن حالفا حلف أنه لا يتلفظ بالقرآن أو بآية من آياته أو سورة من سوره، فقرأ الكتابة أو تلفظ بتلك الحروف أو ببعض ذلك كان حانثا في يمينه، لأنه تلفظ بما هو قرآن".

كما طفق- رحمه الله- ٢/ ١٩٩ ينكر قول "الأشعرية: (كلام الله واحد)، وقالوا: (ما بين اللوحين حكاية عن كلام الله وعبارة عنه)". وساق الأدلة في رد قولهم هذا بما يُقوّي مذهب السلف ومعتقدهم.

ثم إن كلمة أهل السنة التي ترسخت وانعقدت قلوبهم عليها وأضحت تمثل لديهم قاعدة للتعامل مع سائر صفات الله الخبرية والفعلية ويجب التذكير بها دائما، هي أن "حلول الحوادث بالرب تعالى المنفي في علم الكلام المذموم، فيه إجمال: فإن أريد أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء.. فهذا نفي باطل، وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي الحوادث فيُسلم المخاطب لهم بذلك على ظن أنهم ينفون عنه سبحانه ما لا يليق، فإذا سلم لهم هذا النفي ألزموه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم" لما ذكرنا من تفصيل نبّه إليه ونص عليه شارح الطحاوية (ص٥٩).

على أن ما استلزمه كلام الأشاعرة من نفي أن يكون كلام الله باللفظ والصوت وما يتبع ذلك من إلزامات منها: إطلاق مسمى (الكلام) على: (الكلام النفسي) على جهة الحقيقة لا التجوز، لا يخلو من تناقض، وقد ظهر هذا التناقض في قول البيجوري في شرحه على الجوهرة ص٧٩: "ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثا، لا يجوز أن يقال: (القرآن حادث) إلا في مقام التعليم"، وقوله في الصفحة التالية: "ويصح أن يكون المراد: أن (الكلام اللفظي) يدل على (الكلام النفسي) دلالة عقلية التزامية بحسب العرف، فإن من أضيف له كلام لفظي دل عرفا على أن له كلاما نفسيا، وقد أضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن، فإنه كلام الله قطعا بمعنى: أنه خلقه في اللوح المحفوظ، فدل التزاما على أن له كلاما نفسيا، وهذا هو المراد بقولهم: (القرآن حادث ومدلوله قديم)".. إذ كيف يكون القرآن كلام الله قطعا مع كونه مخلوقا في اللوح.

الأمر الذي يعني: أنه لا يصح في مثل هذه الأمور إلا قولة الحق التي ليس بعدها إلا الضلال المبين، ولاسيما ما تحمله هذه الأقوال جراء القول بها من: فتنة لا يعلم مداها إلا الله وحده، بل ومن نقض لما اصطلح عليه أهل اللغة في تعريف صفة الكلام، ومن "توهم أن الصفة القائمة بذاته تعالى حادثة" على حد اعتراف اللقاني نفسه، وهو ما ذمه السلف الصالح جملة وتفصيلا ونفضوا أيديهم منه، ولا ندري أين الأزهر ليقوم بدوره في الذبّ عن معتقد أهل السنة والجماعة، والنجاة بنفسه وبأبنائه من تلك الفتن والمذاهب الردية؟.

والى لقاء، والحمد لله رب العالمين.

أسرار الحج وحِكمُه

أما بعد: فأوصيكم- أيها الناس- ونفسي بتقوى الله- عز وجل- فاتقوا الله- رحمكم الله- فلله در أقوامًا امتثلوا ما أمروا وزجروا عن الزبل فانزجروا، جن الليل عليهم فسهروا واجتهدوا في المطلوب فجدوا ورغبوا وحرصوا، ربحوا وما خسروا وعاهدوا فما غدروا واعترفوا بنعم مولاهم فشكروا، لقد ذكروا بالذكر فذكروا. "إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا" (المؤمنون: ١١١).

إعداد الدكتور/ صالح بن عبد الله بن حميد
خطيب وإمام المسجد الحرام

أيها المسلمون حجاج بيت الله.. تقبل الله حجكم وأحسن عملكم، وجعل حجكم مبرورا وسعيكم مشكورا، وأعادكم إلى دياركم سالمين غانمين موفورة أجوركم متقبلة أعمالكم صالحة شؤونكم محفوظين في دينكم وأهليكم.

أيها المسلمون حجاج بيت الله، وأنتم تتطلعون لشهود منافع الحج وحكم التشريع وأسرار الشرائع فهذا هو الحج فريضةٌ محكمةٌ وركنٌ من أركان الإسلام راسخٌ.. من خصائصه أنه أكثر نفقةً وأكثر مشقةً وأعظم تضحيةً؛ ولذا كان الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة، ومن حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

الحج رحلة العمر والحياة إلى بيت الله المحرم، يقترن به غالبا زيارة مباركة إلى مسجد رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

حجاج بيت الله.. تقبل الله منا ومنكم وبلغنا منافع الحج، شعائر الإسلام الكبرى- الصلاة والصيام والزكاة والحج- تتجلى فيها جميعا وحدة المسلمين واتحاد شعائرهم ومشاعرهم، تؤتى كلها في أوقات معلومة وشعائر ظاهرة ليس لأحد أن يزيد فيها أو ينقص؛ فالصلاة أوقاتها خمسةٌ معلومة، والصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والزكاة في وقتها معلوم. (وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ) (الأنعام: ١٤١)، و(ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ) (البقرة: ١٩٧).

إن شعائر الإسلام تجمع المسلمين على توجه واحد وتوحيد واحد وممارسة واحدة.. يستشعرون معاني الأخوة والمشاركة، ويشعرون بعظمة التجمع في مسجد الحي ومسجد الجمعة الجامع والمسجد الحرام والمشاعر العظام والمسجد النبوي الشريف.

والحاج يجتمع له ذلك كله في رحلته المقدسة من صلاة ونفقة وسفر ورفقة.. ينخلع عن أهله وولده وبيته وعمله وراحته في أيام عظيمة ونفحات إيمانية ومشاعر دفاقة.. أيام إقبال على الله وابتغاء مرضاته في أماكن مقدسة طاهرة يتجرد فيها عن الدنيا ومظاهرها.. يطرق أبواب الرحمة والمغفرة.. يتعرض لنفحات ربه في هذه المواقف الشريفة في عرفة والمشعر الحرام ورمي الجمار والطواف بالبيت المحرم وبين الصفا والمروة.. أيام حج مباركة، وأعمال من الطاعات والقربات يتوافد فيها الحجيج يحملهم الطهر ويحدوهم الأمل من رب كريم في مظهر فريد في دنيا البشر لا نظير له ولا مثيل في أي مكان أو أي زمان إلا لأهل الإسلام وديار الإسلام.. ملايين البشر من المسلمين اعتزلوا ما ألفوا.. الكل في موقف واحد آوتهم الخيام وتجردوا من ثياب الترف والزينة، لئن كانوا في ديارهم يمثلون أذواقًا مختلفةً وأنماطًا متغايرةً وعاداتٍ متباينة.. وأصواتهم متفاوتةً ولغاتٌ ولهجاتٌ متنوعة؛ فإنهم في يوم عرفة لونهم البياض ولباسهم الإزار والرداء ولغتهم التلبية والتسبيح والتكبير والتهليل والدعاء والاستغفار، ومشاعرهم مشاعر الضراعة

والقرب، والابتهال في القلوب إيمانٌ وفي الألسنة ذكرٌ وفي المشاعر رغباتٌ وآمالٌ بالفوز والنجاة والقبول والمغفرة.

معاشر الإخوة حجاج بيت الله، ومن شهود منافع الحج والنظر في حكم التشريع وأسرار الدين ما أعلنه نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع من معالم الإسلام ومبادئه العظام، ومما تقتضيه المناسبة ما ذكروه من شأن المال ونظامه وتنظيمه وعالم اليوم يعيش أزمة مالية خانقة.. لقد قال عليه الصلاة والسلام فيما قال في هذا اليوم العظيم والمشهد الكبير: "كل ربا موضوع.. لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون" وفي نظرة موجزة فيما عليه نظام المال واقتصاده في الإسلام يتبين أين الخلل وأين المشكلة وأين الحل.

المال- عباد الله- له دائرتان: دائرة الكسب ودائرة الإنفاق.. أما دائرة الكسب فهي إحدى صور العمل، ومن كد وعمل فهو حقيق بأن ينال جزاء عمله، وكسبه من جهده المبذول حسب قدرته وخبراته العلمية والبدنية والعقلية، وهذه القدرات والخبرات والقوى تختلف بين الناس اختلافا بيّنا؛ ومن هنا فإن مكاسبهم ونتائج أعمالهم واستحقاقاتهم تختلف كذلك.. وفي ميدان العمل والكسب كذلك فإن الإسلام يفرق بين الحلال والحرام، فكل درهم يأخذه الإنسان من غير وجهه فهو حرام وسحت، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به.. من غش وظلم وكذب وتدليس وكتمان واحتكار، والمال لا ينتج مالاً والزمن لا يمنح ربحًا.. وانما يكسب المال بالعمل والجهد والجد والكسب.

وكل تعدٍ على الآخرين وارتكاب الحيل للاستحواذ على أموال الناس سحتٌ وحرامٌ وممنوعٌ في شرع الله ودينه، وجمع المال واكتنازه من غير أداء حق الله فيه مسلك في الشرع ممنوع.. ناهيكم مما يجب التحلي به من الأخلاق العالية والقيم الرفيعة والصدقة والبذل والإحسان والرفق والسماحة في البيع والشراء وحسن الأداء والقضاء.

أما الدائرة الثانية فهي دائرة الإنفاق؛ فدين الإسلام يدعو إلى الإنفاق من غير إسراف ولا تقتير، بل نهجه النهج القوام مما يبني ثقافة الصرح والاستهلاك الرشيد: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا» (الفرقان: ٦٧)، «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا» (الإسراء: ٢٩)، إنفاق يحارب البذخ والسرف والخيلاء والشح والتقتير مما يذهب بالمال من غير وجهه، ويورث الحسد والبغضاء ويوقع الفحشاء: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٦٨).

ليس الاقتصاد وحدات حسابية أو تعظيمًا للربح والمنفعة العاجلة والنهم والجشع على حساب الحق والعدل والرحمة والصدق والرفق وحسن التعامل.. ويكفي من مظاهر الظلم تسريح العمال وازدياد البطالة، وإذا زاد الإنتاج ألقوا بالفائض في البحر أو في النهر غرقًا وحرقًا حتى لا ترخص الأسعار وحتى لا يحل الرخاء.. ولو مات العالم جوعًا وعريا.. ناهيكم بالعبث بالأسواق والأسعار وسوء استخدام أجهزة الإعلام في تحقيق المكاسب الحرام وخداع عباد الله.

وبعدُ، عباد الله.. ماذا يصنع من يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه ورعٌ يحجزه عما حرم الله وحلمٌ يضبط به جهله وحسن صحبة لمن يصحب؛ فلا تحقرن من المعروف شيئًا.. فجنات عدن أعدها الله للذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين.

أيها الحاج الكريم وقد حفظك الله فأتم لك نسكك ويسر لك طريق العبادة.. اعلم أن حفظ حقوق إخوانك والالتزام بآداب الإسلام يمحو آثار الذنوب وظلمة الآثام: يتحرى الحاج كل برٍ ويتباعد عن كل منكرٍ تقربًا إلى الله وإخوةً للمؤمنين..

إن الحج في وفوده وحشوده تأكيدٌ لهذه الارتباطات وتجسيدٌ لتلك المشاعر.. صفوفٌ في الأبدان وشهودٌ في الأفئدة.. الحج رمز الوحدة والتوحيد وعنوان البذل والتضحية.. ملتقى المسلمين الأكبر يوم الحج الأكبر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (البقرة: ٢٠٠-٢٠٢).

والحمد لله رب العالمين

تمثيل طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين

إعداد مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

ففي هذا العدد نتكلم عن مثل من الأمثال القرآنية وهو في الآية الخامسة والستين من سورة الصافات وهي قوله تعالى: «طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» ولكن حتى يتم فهم معناها لا بد من ذكرها في سياقها التي سيقت فيه من الآيات السابقة واللاحقة لها وذلك حتى يتم فهم المثل. والآيات التي ذكرت هذه الآية في سياقها هي قوله تعالى: «أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ (٦٤) طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ» [الصافات: ٦٢- ٦٨].

المعنى الإجمالي

هذه تساؤلات تقريرية لقريش والكفار، ليست للاستفهام يراد بها إعلامهم بأن هذا المذكور من أوصاف نعيم الجنة وطيباتها في القرآن خير ضيافة وعطاءً، أم شجرة الزقوم ذات الطعم المر الشنيع التي في جهنم، وهذا نوع من التهكم والسخرية بهم، فهو طعام أهل النار يتزقمونه.

إنا جعلنا تلك الشجرة اختبارًا للكافرين حين افتتنوا بها وكذبوا بوجودها، فقالوا: كيف تكون تلك الشجرة في النار، والنار تحرق ما فيها؟

وهذا بسبب جهلهم أن بعض الأشياء لا يقبل الاحتراق في النار، وأنهم لم يعلموا أن من قدر على جعل إنسان يعيش في النار، هو أقدر على خلق شجر فيها لا يحرق، وأوصاف تلك الشجرة: أنها شجرة تخرج أو تنبت في قعر النار وقرار جهنم، أي ملاصق أساسها الذي لها كالجدران، ويشبه ثمرها في تناهي قبحه، وبشاعة منظره، رؤوس الشياطين، تكريهًا لذكرها، فقد شبّه ثمرها بما استقر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقبحها، وان كانت لم تر.

وهذه الشجرة يأكل الكفار من ثمرها القبيح الرائحة والطعم، فيملؤون منها بطونهم، بالإكراه والاضطرار، لأنهم لا يجدون غير هذه الشجرة ونحوها من كل مر عسر المذاق.

ثم إن لهم بعد الأكل منها لشرابًا من ماء شديد الحرارة يخالط طعامهم، أي أن حال المشروب في البشاعة أعظم من حال المأكول. ثم إن مرجعهم بعد شرب الحميم وأكل الزقوم إلى دار الجحيم. (التفسير الوسيط- لوهبة الزحيلي ٣/٢١٧٣).

تفسير المفردات

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا﴾: الألف من قوله تعالى: ﴿أذلك﴾ للتقرير والمراد تقرير قريش والكفار. والإشارة بـ ﴿أذلك﴾ إلى ما تقدم من حال المؤمنين في النعيم والخلود.

﴿أذلك خيرٌ﴾ مبتدأ وخبر، ﴿نُزُلًا﴾ تمييز، لأنها جاءت بعد اسم التفضيل فإن ﴿خير﴾ اسم تفضيل، حذفت منها الهمزة لكثرة الاستعمال، وأصل خير ﴿أخير﴾ مثل شر أصلها ﴿أشر﴾.

﴿نزلا﴾ النزل: هو ما يعد للضيف من التكرمة: كالأكل والشرب والفراش والمسكن وما أشبه ذلك.

﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾: أي التي حاصلها الألم والغم، المعدة لأهل النار، وهي من أخبث الشجر المر بتهامة، ينبتها الله في الجحيم، وهي شجرة خبيثة المنظر، كريهة الرائحة، مرة الطعم.

﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ شجرة الزقوم جعلها الله فتنة للظالمين أي اختبارًا يختبرون بها وفتنة أي سببًا للضلال؛ لأن الفتنة تطلق على الاختبار وتطلق على ما كان سببًا للضلال.

﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ أي أصل منبتها في قرار النار.

﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ المشبه بطلع النخل كأنه رؤوس الشياطين، أي: الحيات القبيحة المنظر.

﴿طلعها﴾ يعني الثمر الذي يشبه طلع النخل كأنه رؤوس الشياطين.

﴿فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾ ﴿فإنهم﴾ أي الكفار ﴿لآكلون منها﴾ مع قبحها لشدة جوعهم والجملة هنا اسمية مؤكدة بـ (إن) و(اللام) لإفادة أن أكلهم مستمر، لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار وأكدت بـ (إن) و(اللام) للدلالة على أنهم يأكلون منها أكلا مؤكدًا مع أنها قبيحة المنظر، كريهة الطعم والرائحة.

﴿ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم﴾ (ثم): حرف عطف يدل على الترتيب والتراخي. والشوب: أصله مصدر شاب الشيء بالشيء إذا خلطه به. وضمير (عليها) عائد إلى (شجرة الزقوم) بتأويل ثمرها. و(الحميم): القيح السائل من الدمل.

﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ (ثم إن مرجعهم) بعد شرب الحميم وأكل الزقوم (لإلى الجحيم) أي: ثم إن مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج وجحيم تتوقد وسعير تتوهج. [المفردات مستفادة من: ﴿المحرر الوجيز﴾ لابن عطية- ﴿التحرير والتنوير﴾ لابن عاشور- ﴿فتح البيان﴾ لصديق خان- ﴿تفسير ابن عثيمين﴾ - ﴿تفسير ابن كثير﴾ بتصرف﴾.

المعنى التفصيلي

قال تعالى: ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم﴾.... استئناف بعد تمام قصة المؤمن ورفاقه قصد منه التنبيه إلى البون بين حال المؤمن والكافر جرى على عادة القرآن في تعقيب القصص والأمثال بالتنبيه إلى مغازيها ومواعظها.

والاستفهام كنى به عن التنبيه على فضل حال المؤمن وفوزه وخسار الكافر وهو خطاب لكل سامع.

والإشارة بـ ﴿أذلك﴾ إلى ما تقدم من حال المؤمنين في النعيم والخلود.

والجواب: ذلك بلا شك، ولكنه ذكر على سبيل التهكم بمن تنعموا في الدنيا ونسوا نعيم الآخرة، وإلا فلا أحد يشكل عليه أن ذلك خير من شجرة الزقوم، وهو كقوله تعالى: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: ٥٩)، فإنه من المعلوم لكل أحد أن الله خير، لكن هذا ذكر على سبيل التهكم بهؤلاء، وأن معبوداتهم ليس فيها خير إطلاقًا.

قال تعالى: ﴿فتنة للظالمين﴾ أي اختبارًا لهم وسببًا لضلالهم، اختبارًا لهم لأنهم لو آمنوا لصدقوا ولم يعترضوا وسببًا لضلالهم؛ لأنها جعلتهم يتخذون من هذا طعنًا فيما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام والمراد بالظالمين هنا: الكفار، أو أهل المعاصي الموجبة للنار.

وللحديث بقية نذكر فوائد هذا المثل والآيات.

شهر ذي الحجة أحداث وتاريخ

إعداد أحمد عز الدين محمد

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وبعد.

فإن شهر ذا الحجة هو الشهر الثاني عشر آخر أشهر السنة القمرية، وفي يوم التاسع منه يكون يوم عرفة، وفي صحيح مسلم عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صيام يوم عرفة: "أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده". ويكون يوم العاشر من ذي الحجة أول أيام عيد الأضحى ويشرع فيه الأضحية، وقد حفل هذا الشهر الحرام المبارك بالأحداث العظيمة الأثر في تمكين الدعوة الإسلامية في ربوع الأرض، ومنها ما يلي:

أولاً: في ذي الحجة سنة ١٣من النبوة: بيعة العقبة الثانية وكان فيها أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع بن عمرو، وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة ورافع بن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور بن صخر، وعبد الله بن عمر بن حرام، وعبادة بن الصامت بن قيس، وسعد بن عبادة بن دليم، والمنذر بن عمرو بن خنيس هؤلاء تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس وهم: أسيد بن حضير بن سماك، وسعد بن خيثمة بن الحارث، أبو الهيثم بن التيهان، وقد أخرج النبي هؤلاء الاثني عشر نقيبًا من بين بضع وسبعين قدموا إلى مكة للحج هذا العام.

وقد أخذ النبي على هؤلاء النقباء العهد فقال لهم: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على المسلمين. قالوا: نعم، وكانوا جميعًا قد بايعوا النبي على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة. رواه أحمد.

وهذه البيعة تعرف ببيعة العقبة الكبرى، وقد تمت في جو تملؤه عواطف الحب والولاء والتناصر بين أشتات المؤمنين، والثقة والشجاعة، وكان إيمانهم بالله وبرسوله وبكتابه، إيمانًا لا يزول أمام أي قوة مهما بلغ ظلمها وطغيانها، إيمانًا إذا هبت ريحه جاءت بالعجائب في العقيدة والعمل.

ثانيا: وفي ذي الحجة سنة ٢هـ «غزوة السويق»، وفيها أراد أبو سفيان أن يقوم بعمل تقليل المغارم، ظاهر الأثر يتعجل به ليحفظ مكانة قومه ويبرز لهم ما لديهم من قوة، وكان بعد هزيمتهم القاسية في بدر، قد نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدًا، فخرج في مائتي راكب ليبرّ بيمينه، حتى وصل إلى مسافة بريد (حوالي اثني عشر ميلاً) من المدينة، فبعث جماعة من قواته، فأغارت على ناحية من المدينة يقال لها (القريض)، فقطعوا وأحرقوا نخيلاً، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفًا له في حرث لهما فقتلوهما وفروا راجعين إلى مكة على عجل.

وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر، فسارع لمطاردة أبي سفيان ولكنهم فروا ببالغ السرعة، وطرحوا سويقًا كثيرًا من أزوادهم وتمويناتهم يتخففون به، فتمكنوا من الإفلات، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى (قرقرة الكدر) ثم انصرف راجعًا وقد غنم ما طرحوه من سويقهم وأزوادهم وحمله معه إلى المدينة وكان قد استعمل على المدينة في هذه الغزوة أبا لبابة بن عبد المنذر.

ثالثا: وفي ذي الحجة سنة ٥هـ، خرج النبي إلى بني قريظة لسبع خلون من ذي الحجة عند ابن إسحاق، إذ جاءه جبريل عليه السلام عند الظهر وهو يغتسل في بيت أم سلمة فقال: أو قد وضعت سلاحك، فإن الملائكة لم تضع أسلحتها، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في موكب من الملائكة، وأمر النبي من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وأعطى الراية علي بن أبي طالب، ثم خرج النبي في جمع من المهاجرين والأنصار، وحاصرهم وشدد عليهم الحصار، مما أدى إلى استسلامهم بعد إرسال أبي لبابة بن المنذر وتحكيم سعد بن معاذ فيهم وقد اختار ذلك، ونزلوا على حكم الله ورسوله.

قال سعد: أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات»، وكان هذا الحكم غاية في العدل والإنصاف فإن بني قريظة، بالإضافة إلى ما ارتكبوا من الغدر الشنيع، كانوا قد جمعوا لإبادة المسلمين ألفًا وخمسمائة سيف، وألفين من الرماح، وثلاثمائة درع، وخمسمائة قوس، حصل على كل ذلك المسلمون غنيمة منهم.

ولما تم الحكم وما كان من أمرهم أجيبت دعوة العبد الصالح سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي كان قد دعا ربه «اللهم لا تمتني حتى تشفيني من بني قريظة»، وثبت في الصحيحين عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما مات سعد: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»، وقد دام حصار بني قريظة خمسًا وعشرين ليلة.

رابعًا: في ذي الحجة ١٢هـ، وقعت جملة من الوقائع المهمة وأعقبها فتوحات عظيمة في العراق والشام، وهي على النحو التالي:

أ) مسيرة أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة إلى الشام ثم لحاق عمرو بن العاص بهم.

ب) انتصار المسلمين بقيادة أمامة الباهلي على الروم وهي أول معركة بين المسلمين والروم.

ج) انتصار يزيد بن أبي سفيان على سرجيوس قائد الروم وحاكم فلسطين آنذاك في معركة وادي عرنة.

د) تحرك خالد بن الوليد رضي الله عنه من العراق إلى الشام تنفيذًا لأمر أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليكون مددًا للجيش.

كان ذلك بعضًا من وقائع شهر ذي الحجة الحافل بانتصارات الإسلام والمسلمين.

والله من وراء القصد وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

خير الدعاء دعاء يوم عرفة

إعداد **الشيخ: عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد: فإن يوم عرفة يوم عظيم من أيام الله المباركة، ومجمع كبير من مجامع الخير والإيمان، وموسم رحب جليل من مواسم الطاعة يوم تكثر فيه العبرات، وتتوالى فيه الدعوات، وتتنزل فيه الرحمات، وتقال فيه العثرات، وتغفر فيه الزلات.

إنه يوم كريم مبارك، قد خص بمزايا كريمة، وخصائص عظيمة. إنه اليوم الذي أكمل الله فيه لهذه الأمة الدين، وأتم فيه لهم النعمة، إذ فيه نزل قول الله تعالى: «ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا» (المائدة: ٣)، عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا.

قال: وأي آية؟ قال: قوله: «ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي»، فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم: عشية عرفة في يوم جمعة. (البخاري (٤٦٠٦)، ومسلم (٣٠١٧)).

إنه اليوم الذي رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيامه لغير الحاج، عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة؟ قال: «يكفر السنة الماضية والباقية». (مسلم: ١١٦٢).

إن يوم عرفة آكد أركان الحج، قال صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة». (صحيح الجامع: ٣١٧٢)، لذا فإن الحاج يتهيأ لهذا اليوم تهيئة روحية، منذ أن يخرج من بيته يؤم بيت الله الحرام.

إنه اليوم الذي يباهي به الله ملائكته بأهل عرفة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي شعثًا غبرًا» (صحيح الترغيب: ١١٥٣)، فأي فضل ونبل يسمو إليه الحاج مثل هذا؟ فيسمو على مستوى البشرية، ويرقى إلى أعلى درجات الإنسانية، فيباهي به الله ملائكته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وانه ليدنو ثم يباهي

بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟». (مسلم: ١٣٤٨).

قال ابن عبد البر رحمه الله: وهذا يدل على أنهم مغفور لهم، لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران. (التمهيد: ١٢٠/١).

فأي فضل بعد هذا الفضل؟ وأي كرم بعد هذا الكرم؟ اللهم اجعلنا من هؤلاء يا كريم.

إنه يوم الدعاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلته والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». (صحيح الجامع: ٣٢٧٤).

فيوم عرفة يوم الدعاء، والدعاء من العبادات العظيمة بل هو أجل أنواع العبادة وأفضلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة». (صحيح الجامع: ٣٤٠٧).

الدعاء شأنه عظيم، وفضله كبير، وبه يتحصل العبد على سعادة الدنيا والآخرة.

فالدعاء هو روح هذا الدين، وزاد المؤمنين المتقين، وعنوان التذلل والخضوع لرب العالمين، وعليه فإنه ينبغي لحجاج بيت الله الحرام وغيرهم أن يغتنموا يوم عرفة في الدعاء فقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن الدعاء فيه وبيان فضله فقال صلى الله عليه وسلم: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة». (صحيح الترغيب: ١٥٣٦).

قال ابن عبد البر رحمه الله: وفيه أن-أي: هذا الحديث- من الفقه أن دعاء يوم عرفة أفضل من غيره... وفي الحديث دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب. (التمهيد: ٤١/٦).

فأروا الله من أنفسكم خيرًا يوم عرفة وعليكم بالدعاء، واجتهدوا فيه فإن حاجة المسلم إلى الدعاء ماسة في أموره كلها وضرورته إليه ملحة في شئونه جميعها، ومن أقبل على الله بصدق، وألح عليه بالدعاء، وأكثر من سؤاله أجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه، وأعطاه سؤله، وفتح أبواب الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فهو سبحانه لا يخيب عبدًا دعاه، ولا يرد مؤمنًا ناجاه، وهذا من لطفه سبحانه بعباده وعظيم إكرامه لهم وإحسانه، فهو القائل سبحانه: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا على صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر». (مسلم: ٢٥٧٧).

وهذا من باب المبالغة في عدم النقص، لأن كل واحد يعلم أنك لو أدخلت المخيط وهو الإبرة الكبيرة في البحر ثم أخرجتها فإنها لا تنقص البحر شيئًا ولا تغيره، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه». (متفق عليه).

فاجتهدوا عباد الله في الدعاء يوم عرفة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده». (الصحيحة: ١٨٩٠).

وأن يسأل الله بأسمائه الحسنى وقد أمر الله بذلك فقال سبحانه: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» (الأعراف: ١٨٠).

وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، فسمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب» وفي رواية: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى». (صحيح الترغيب: ١٦٤٠).

وأن يتخير من الأدعية الجامعة. منها: «اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرًا». (صحيح الجامع: ١٢٧٦).

فأروا الله من أنفسكم خيرًا في كل زمان ومكان ولا سيما يوم عرفة من صيام ودعاء وصالح الأعمال.

اللهم يا حي يا قيوم بلغنا يوم عرفة واجعلنا فيه من المقبولين.

خطبة الوداع وتحريش الشيطان

إعداد: **الشيخ صلاح عبد الخالق**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا شك أن ظاهرة الخصام وتغيُّر قلوب الناس على أتفه الأسباب أصبحت منتشرة بين الأفراد والدول، وهذا يُسعد أعداء الأمة الإسلامية لنعيش في هم وغم وشقاء.

لعل من أقوى أسباب الخصام: الشيطان وأعوانه.. قال تعالى: « إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ » (المائدة: ٩١).

التحذير من تحريش الشيطان في خطبة الوداع:

عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ عَمِّه، قَالَ: كُنْتُ آخذا بزِمَام نَاقَة رَسُول الله صلى الله عليه وسلم في أَوْسَط أَيَّام التَّشْرِيق، أَذُودُ عَنْهُ النَّاسَ، فَقَالَ: ".. أَلا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيش بَيْنَكُمْ..." مسند أحمد (٢٠٧١٤) تعليق شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

هَذَا الْحَدِيث مِنْ مُعْجِزَات النُّبُوَّة وَمَعْنَاهُ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَهْلُ جَزِيرَة الْعَرَب، وَلَكِنَّهُ سَعَى فِي التَّحْرِيش بَيْنَهُمْ بِالْخُصُومَات وَالشَّحْنَاء وَالْحُرُوب وَالْفِتَن وَنَحْوهَا. شرح النووي (١٥٦/١٧).

١- حرب الشيطان على الإنسان:

قال تعالى: « وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا » (الإسراء: ٦٤)، أي واجمع عليهم جندك فرسانًا ومشاة، والمراد به: تسلَّط عليهم بكلِّ ما تقدر عليه، واجمع لهم كلَّ مكايدك، ولا تدَّخر وسعًا في إغوائهم، مستخدما كلَّ الأتباع والأعوان. (تفسير المنير ١١٧/١٥).

٢- الشيطان ينشر جنوده:

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذا أَصبح إِبليسُ بثَّ جُنوده فيقول: مَنْ أَخذل اليومَ مُسلمًا أَلبسه التاج، قال: فيجيءُ هذا فيقول: لَمْ أَزلْ به حتى طلَّق امرأته، فيقول: أَوْشك أَنْ يتزوَّج. ويجيءُ هذا فيقول: لَمْ أَزلْ به حتى عقَّ والديه، فيقول: يوشك أَنْ يبرَّهما. ويجيءُ

هذا فيقول: لم أزل به حتى أشرك، فيقول: أنت أنت. ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى قتل. فيقول: أنت أنت، ويلبسه التاج" (صحيح الترغيب ٢٤٤٩).

من آفات وأضرار الخصام:

١- انعدام الراحة النفسية: عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان: فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" (رواه البخاري ٦٠٧٧، ومسلم ٢٥٦٠). فعندما يقابل المتخاصم خصمه في أي مكان فيعرض هذا ويعرض هذا بسبب الحالة النفسية الحزينة والهم والغم لا يطيق أحدهما النظر إلى خصمه.

٢- الهزيمة من الأعداء: قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ » (آل عمران: ١٥٥).

يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم "أحد"، وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي. (تفسير السعدي: صـ١٥٣).

٣- حجب ومنع مغفرة الذنوب: عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا. (صحيح مسلم ٢٥٦٥).

(تفتح أبواب الجنة) معنى فتحها كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل. (شرح النووي ١٦/١٢٢). (حتى يصطلحا) أي إلى أن يقع الصلح بينهما فحينئذ يغفر لهما. (مرقاة المفاتيح ٤/١٤٢٩).

٤- سوء الخاتمة دخول النار: قال تعالى: « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » (فاطر: ٦) الشيطان غرضه أن يقذف بأتباعه في نار جهنم المستعرة التي تشوي الوجوه والجلود، لا غرض له إلا هذا. (صفوة التفاسير: ٢/٥٢٠).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار » (سنن أبي داود ٤٩١٤، صحيح الجامع ٧٦٥٩)، (فمات) على تلك الحالة من غير توبة (دخل النار) استوجب دخول النار. (مرقاة المفاتيح ٨/٣١٥٢).

من وسائل نزع فتيل الخصام وكيد الشيطان:

١- الكلمة الطيبة: قال تعالى: « وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا » (الإسراء: ٥٣). يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنه إذ لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته. (تفسير ابن كثير ٥/٨٦).

٢- ابدأ بالسلام والصلح لله تعالى: قال تعالى: « وَالصُّلْحُ خَيْرٌ » (النساء: ١٢٨).

واجب المجتمع التدخل السريع: قال تعالى: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (الحجرات: ١٠). نرجو تكوين لجان للصلح وفض المنازعات بين الناس في كل منطقة ويكون ذلك لوجه الله؛ قال تعالى: « لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » (النساء: ١١٤)، « ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله » أي: مخلصا في ذلك محتسبا ثواب ذلك عند الله عز وجل « فسوف نؤتيه أجرا عظيما » أي: ثوابا كثيرا واسعا. (تفسير ابن كثير ٢/٤١٢).

عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ » قالوا: بلى، يا رسول الله قال: « إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة » (سنن أبي داود ٤٩١٩، صحيح الجامع ٢٥٩٥).

نسأل الله أن يؤلف بين قلوب المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين

(٢)

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

فما يزال الحديث متصلاً عن حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الوقفة الثانية: حكم أطفال المشركين:

يمكن أن نجمل القول في مسألة أطفال المشركين على عدة أقوال:

القول الأول: أن أطفال المشركين في الجنة:

أدلته: أولاً من المنقول:

أ- من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: «لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى» (الليل: ١٥).

٢- قال تعالى: «أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» (البقرة: ٢٤).

٣- قال تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً» (الإسراء: ١٥).

وجه الدلالة: قالوا: إن هؤلاء لم تقم عليهم حجة، فعذاب الآخرة لا يكون إلا للظالمين خاصة، ولا يتبعهم فيه من لا ذنب لهم أصلاً، وهؤلاء لم يعملوا ما يوجب الشقاء، وعليه فهم ليسوا في النار، ومن ليس في النار فهو في الجنة.

الاعتراض عليه:

قالوا: كما أنهم لم يعملوا ما يوجب الشقاء، فهم لم يعملوا ما يوجب السعادة، فهم لا في النار، ولا في الجنة، وحيث تنطق الآية بأن دخول النار بسبب العمل، فكذلك الآيات تنطق بأن دخول الجنة بسبب العمل، وحيث لا عمل لهم في الدنيا، تعيَّن الامتحان في الآخرة: فمن امتثل فله الجنة، ومن عصى فله النار.

ب- من السنة:

احتج أصحاب هذا القول بنفس الأدلة التي احتجوا بها في أطفال المسلمين.

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: «كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ممَّا يُكْثِرُ أنْ يقولَ لأصْحابِهِ: هلْ رَأَى أحَدٌ مِنكُم مِن رُؤْيا قالَ: فَيَقُصُّ عليه مَن شاءَ اللَّهُ أنْ يَقُصَّ، وإنَّه قالَ ذاتَ غَداةٍ: إنَّه أتانِي اللَّيْلَةَ آتِيانِ، وإنَّهُما ابْتَعَثانِي، وإنَّهُما قالا لي انْطَلِقْ، وإنِّي انْطَلَقْتُ معهُما... فأتَيْنا علَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فيها مِن كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وإذا بيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لا أكادُ أرَى رَأْسَهُ طُولاً في السَّماءِ، وإذا حَوْلَ الرَّجُلِ مِن أكْثَرِ وِلْدانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ قالَ: قُلتُ لهما: ما هذا ما هؤلاء؟ قالَ: قالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ... قالَ: قُلتُ لهما: فإنِّي قدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَما هذا الذي رَأَيْتُ؟ قالَ: قالا لِي: أما إنَّا سَنُخْبِرُكَ... وأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الذي في الرَّوْضَةِ فإنَّه إبْراهِيمُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأَمَّا الوِلْدانُ الذينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ ماتَ علَى الفِطْرَةِ قالَ: فَقالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وأَوْلادُ المُشْرِكِينَ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وأَوْلادُ المُشْرِكِينَ» (رواه البخاري)

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رأى أطفال المشركين مع أطفال المؤمنين

بالجنة.

ثانيا: من المعقول:

١- قالوا: إنهم لم يفعلوا ما يؤاخذون به، ولم يفعلوا ما يعذبون به، فهم إذًا على الفطرة القويمة السليمة، فاللائق بعدل الله- سبحانه وتعالى- أنهم من أصحاب الجنة.

القول الثاني: أطفال المشركين في النار:

ذهب إليه الخوارج وبعض أهل العلم، لكن لا يثبت ولا يصح منها شيء.

أدلتهم: من المنقول:

أ- من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: «إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا» (نوح: ٢٧).

وجه الدلالة: قالوا: إن الآية صريحة في أن أولاد الكفار يولدوا على الكفر.

الرد على هذا الاستدلال:

أولاً: إن أطفال الكفار في الدنيا هم من الكفار... ومنها أن نوحا عليه السلام قد يئس من دعوة قومه حتى أن ربه عز وجل أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فلذلك دعا عليهم عندما تيقن أو غلب ذلك على ظنه.

ثانيًا: أنه قال: ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا أي: أن أولادهم سيتربون على الكفر فيصبحون كفارًا إذا كبروا.

وليس المراد أنه في حين ولادته يولد وهو فاجر كافر، إنما يولد على الفطرة كما ثبت ذلك في الأحاديث، ولكن هؤلاء القوم سيضلونهم، كما هو الحال فيمن ولد في بيئة شيوعية فإنه سيكون شيوعيا، فالتعبير عن الحال التي سيؤول إليه هذا الطفل إذا كبر في ظل هذه التربية وفي ظل هذا المجتمع.

ب- من السنة:

عن سلمة بن قيس الأشجعي قال: «انطلقتُ أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: قلنا: يا رسول الله، إنَّ أمَّنا مُليكة كانت تصلُ الرَّحم، وتقري الضَّيف، وتفعلُ، وتفعلُ هلكت في الجاهليَّة، فهل ذلك نافعُها شيئًا؟ قال: لا قال: قلنا: فإنَّها كانت وأدت أختًا لنا في الجاهليَّة، فهل ذلك نافعُها شيئًا؟ قال: الوائدةُ والمَوْؤدةُ في النَّار، إلا أن تُدرِكَ الوائدةُ الإسلامَ، فيعفو اللهُ عنها» (صححه الوادعي).

وجه الدلالة: قوله «والمَوْؤدةُ في النَّار» دليل على أن أطفال الكافرين في النار، ولو وئدت عند ولادتها، ولم تعمل شيئًا.

القول الثالث: أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة:

فلا يفردون عنهم بحكم في الدارين، فكما هم منهم في الدنيا، فهم منهم في الآخرة.

أدلته:

١- عن الصعب بن جثامة- رضي الله عنه- قال: «سُئل النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ عن الذَّراريِّ من المُشركين؟ يُبيَّتُون فيُصيبُون من نسائهِم وذراريهِم، فقال: هُم منهم» (رواه مسلم).

وجه الدلالة: إلحاق ذراري المشركين بآبائهم.

الاعتراض عليه:

أ- بأن هذا الحديث خاصٌ بالجهاد، ولا علاقة له بالثواب والعقاب.

ب- أن هذا خطأ بيِّن؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هم منهم»، ولم يقل: «هم معهم»، وشتان بين الحرفين، كما أن الحديث لم يتعرَّض أصلاً للعذاب بنفي ولا إثبات، بل معناه: أنهم تبع لآبائهم في الحُكم، وأنهم إذا أصيبوا في الجهاد والتَّبييت، لم يُضمنوا بدية ولا كفارة، ومعنى يُبيَّت؛ أي: يُغار عليهم بالليل.

القول الرابع: التوقف في الحكم على أطفال المشركين:

فلا نقول: إنهم من أهل الجنة، ولا من أهل النار، وهو منسوب للإمام أحمد رحمه الله تعالى، وبعض السلف

أدلته:

أولا: من المنقول: من السنة:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يا رسول الله! ذراريُّ المؤمنين؟ فقال: من آبائهم. فقلتُ: يا رسول الله بلا عمل؟ قال: اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين. قلتُ: يا رسول الله فذراريُّ المشركين؟ قال: من آبائهم. قلتُ: بلا عمل؟ قال: اللهُ أعلم بما كانوا عاملين» (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

وجه الدلالة: قال ابن حجر- رحمه الله- في "

الفتح": «قوله: (الله أعلم): قال ابن قتيبة: معنى قوله: (بما كانوا عاملين): أي: لو أبقاهم، فلا تحكموا عليهم بشيء، وقال غيره: علم أنهم لا يعملون شيئًا، ولا يرجعون فيعملون، أو أخبر بعلم شيء لو وُجد كيف يكون؛ مثل قوله: «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا» (الأنعام: ٢٨)، ولكن لم يردْ أنهم يُجازون بذلك في الآخرة؛ لأن العبد لا يُجازى بما لم يعمل» اهـ.

ثانيا: من المعقول:

قالوا: إن تعارض الأدلة في ذلك وعدم وضوح وبيان شيء منها يدل على ضرورة التوقف في الحكم عليهم.

القول الخامس: أن أطفال المشركين يمتحنون يوم القيامة:

فإن آمنوا دخلوا الجنة وان كفروا دخلوا النار.

أدلته: من السنة:

عن يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: «صليتُ وراء أبي هريرةَ على صبيٍّ لم يعملْ خطيئةً قطُّ، فسمعتُه يقولُ: اللهمَّ! أعِذْهُ من عذاب القبر» (أورده التبريزي في مشكاة المصابيح، وصححه الألباني).

وجه الدلالة: أن الصبي الصغير يختبر في قبره، ويعذب كما يعذب الكبار.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «يُؤتى بأربعة يومَ القيامة بالمولود وبالمعتوه وبمن ماتَ في الفترة وبالشيخ الفاني كلهم يتكلمُ بحُجته فيقول الربُّ تبارك وتعالى لعُنُقٍ من النار ابْرُزْ: فيقول لهم: إني كنتُ أبعثُ الى عبادي رسلاً من أنفسهم واني رسول نفسي اليكم ادخُلوا هذه فيقولُ منْ كُتبَ عليه الشقاءُ يا ربِّ أين ندخُلها ومنها كنا نفرُّ؟ قال: ومنْ كُتب عليه السعادةُ يمضي فيقتحمُ فيها مُسرعًا، قال: فيقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: أنتم لرسلي أشدُّ تكذيبًا ومعصيةً فيدخلُ هؤلاء الجنةَ وهؤلاء النار» (رواه البزار، وصححه الألباني)؟

وجه الدلالة: أن الأربعة مرجعهم إلى فقدان العقل والاحساس، وهذا يشمل المعتوه والأصم والأبكم، وأنهم ليس لديهم الحاسة التي يستطيعون بها أن يعلموا.

وصاحب الفترة يقول: يا رب ما سمعت بنبي قط، وما وصلت إليَ رسالة رسول قط، فهؤلاء الأربعة يمتحنهم الله في عرصات القيامة، بأن يوقد النار أو يخرج لهم لسان من النار، ويقول لهم: ادخلوها، فإن دخلوها كانت بردا وسلاما عليهم، وان عصوا وأبوا ألقوا فيها.

وقد رد أصحاب هذا الرأي على أدلة الآراء السابقة بالآتي:

الرد على حديث: «الله أعلم بما كانوا عاملين»:

لا يتنافى مع القول بالامتحان، ويمكن أن نجعله دليلا على الامتحان لأن الله يعلم ما كانوا عاملين، أي: إن نجحوا وآمنوا ساعة الامتحان يوم القيامة فالله تعالى سيدخلهم الجنة. وإن كفروا وعصوا الله تعالى سيدخلهم النار.

الرد على حديث الخليل- عليه السلام- على رواية «أن ذراري المشركين كانوا معه»

يحتمل أنهم امتحنوا فنجحوا، أو أن هؤلاء سيكونون على الصورة التي كانوا عليها، أي: أن هؤلاء الذراري الذين امتحنوا فنجحوا سموا أطفال المشركين، نسبة إلى ما كانوا عليه في الدنيا، فلهذا قال: «ذراري المشركين وأطفال المشركين»، فأطفال المسلمين دخلوا الجنة لأنهم أطفال المسلمين، وأطفال المشركين كانوا مع الخليل في الجنة؛ لأنهم الذين نجحوا في الامتحان، أي أنهم أطاعوا الله سبحانه وتعالى. إذًا: لا يمنع أن يوجد منهم من هو في النار.

القول الراجح:

بعد استعراض أدلة الأقوال الخمسة، يمكننا القول أن القول الراجح هو القول الأول القائل بأنهم في الجنة مثلهم في ذلك مثل أطفال المسلمين، وذلك للآتي:

أولا: قوة أدلتهم، وسلامتها من المعارض.

ثانيا: أن الشريعة الاسلامية قررت أن العقل مناط التكليف، ولا تكليف للصبي، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما: «رُفعَ القلمُ عن ثلاثة: عنِ المجنون المغلوب على عقله حتى يُفيقَ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعنِ الصبيِّ حتى يحتلم» (رواه أبو داود، وصححه الألباني)، وأطفال المشركين لم يعملوا شيئا يحاسبون عليه، لوفاتهم قبل البلوغ، فمآلهم الجنة.

والحمد لله رب العالمين.

مجلة

التوحيد

إعلانك على موقع التوحيد يحقق لك :

التميز الانتشار الربح

بادر بحجز إعلانك على موقع التوحيد

مفاجأة عند إعلانك لمدة شهر تحصل على شهر مجاناً

٨ شارع قولة ـ عابدين ـ القاهرة ت : ٠١٠٠١٩١٨١٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

السلام عليكم

العمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة

قال أبو عثمان النهدي: كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم.

أما العشر الأول من ذي الحجة، فإن العمل الصالح فيها يضاعف أضعافا كثيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام». قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء.

ويشرع في هذه الأيام التكبير المطلق، وقد كان ابن عمر وأبو هريرة، رضي الله عنهما، يخرجان إلى السوق أيام العشر، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

ويشرع من فجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من اليوم الثالث من ذي الحجة التكبير في أدبار الصلوات، وهو ما يعرف عند أهل العلم بالتكبير المقيد.

فيجتمع التكبير المطلق والمقيد في خمسة أيام، وهي: يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق الثلاثة.

ومن صيغ التكبير الشرعية: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد». وهي أفضل الصيغ عند الجمهور، وهي قول كثير من السلف.

تقبل الله منا ومنكم.

التحرير

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارا أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة